مقالات في

اللاهوت والفكر المعاصر

الفداء العظيم

الجزء الأول

دراسة موضوعية في الكتاب المقدس

كلية اللاهوت الإنجيلي بالمنيا
المكتبة الاستعارية
رقم التسلسل العام :
الموضوع :
رقم التسلسل الخاص :

القس
موسى وهبه مينا

مقالات في

اللاهوت والفكر المعاصر

الفداء العظيم

الجزء الأول

دراسة موضوعية في الكتاب المقدس

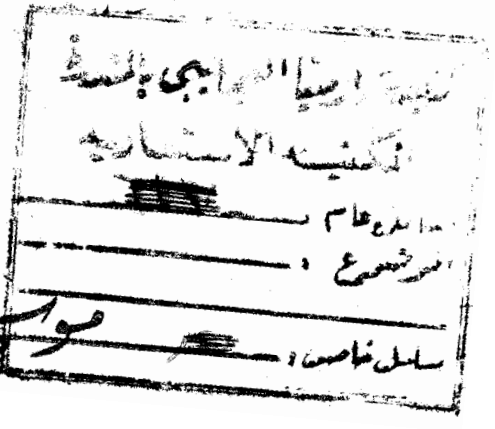

القس

موسى وهبه مينا

كنيسة مارمينا بمنشية البكري بالمنيرة
المكتبة الاستعارية
وارد
مسلسل عام: ٥٤٤
مسلسل خاص:

مقالات في

اللاهوت والفكر المعاصر

الفداء العظيم

الجزء الأول

دراسة موضوعية في الكتاب المقدس

القس

موسى وهبه مينا

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

هذا الكتاب سبقه الكثير من الكتب التى تناولت موضوع الفداء والخلاص ، فهو ليس جديدا فى موضوعه ، ولست أزعم أنى أضيف شيئا جديدا الى المكتبة القبطية فى هذا الموضوع · الا أن هذا لا يمنع من أن يكون دراسة متكاملة تقوم على الدراسة الموضوعية فى الكتاب المقدس ، بحيث يمكن للدارس أن يتابع دراسة الفداء فى لاهوت الكتاب فتعطيه ذخيرة روحية وعقلية لأنه يجمع ما بين التفسير والتأمل الروحى ، فيكشف غوامض بعض النصوص الكتابية فضلا عن الدخول الى أعماقها ·

والكتاب يقدم منهجا دراسيا لفهم العقيدة الكنسية ، وموضوع كرازتها وخدمتها عن المسيح · فلا يكفى أن نردد قانون الايمان بل يجب أن تكون تلاوته نابعة من الايمان الشخصى ، بحيث يعلنه الانسان اعترافا واقرارا بما استقر فى وجدانه من ثقة ورجاء · وعلى هذا فالكتاب يتناول جانبا من الدراسة اللاهوتية الخاصة بربنا يسوع المسيح ، وهى الخاصة بعمل المسيح من أجل الانسان

> هذا الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا (نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس) وصلب عنا عن عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر وقام من بين الأموات وصعد الى السموات وجلس عن يمين أبيه ·

أما النص الموضوع بين قوسين فيتناوله بحث آخر خاص بشخص الرب يسوع وطبيعته ولما كان هذا البحث يتعرض لموضوع التجسد ، فقد بدا لى أنه من الأفضل أن أقدمه فى دراسة مستقلة تتيح مجالا للاستفاضة والتفصيل ٠

ولابد لى هنا أن أقرر أن الفضل فى استخدام هذا المنهج يرجع الى الاخوة الخدام والخادمات فى التربية الكنسية ٠ فقد حدث من سنوات قليلة أنهم عقدوا مؤتمرا لبحث احتياجات الخدمة من حيث الموضوعات التى تشغل بال ابنائنا وبناتنا فى الكنيسة ، خصوصا وأن التحديات التى تقابلهم سواء فى المدارس والكليات أو حتى فى العمل والمعاملات تفرض عليهم فى كثير من الأحيان لونا أو ألوانا من الضغوط النفسية تحتاج منا ـ على الأقل ـ أن نجد متنفسا للتعرف عليها وادراكها بحيث نتيح لهم القدرة على مواجهة مثل هذه التحديات مسلحين بالمعرفة التى يفرضها الموقف ٠

وقد تبلورت مناقشات المؤتمر حول ثلاث موضوعات رئيسية تمثل التحدى العقيدى والدينى والاجتماعى لشبابنا الصغير ، وهى :

١ ـ الخلافات العقائدية بيننا وبين الطوائف الأخرى، وأسباب هذه الخلافات والى أى مدى تبلغ اهميتها وقيمتها حتى أنها فى بعض الحالات تؤدى الى تصدع الروابط العائلية٠ كما أنها فى بعض الأحيان تقف حائلا فى طريق الزواج بين الأطراف التى تختلف من جهة المذهب٠

٢ ـ العلاقات الاجتماعية بين الفتى والفتاة والى مدى يمكن أن تصل هذه العلاقة ، وما يجوز منها وما لا يجوز ٠ والملاحظ أن العادات والتقاليد لها أحكام معينة فى هذه الأمور ، والتربية لها دور كبير فى تكوين شخصية الانسان ، من حيث الانطواء ، أو النشاط الاجتماعى ، من حيث تعقيد أمور الحياة أو النظر اليها ببساطة ٠ ويندرج تحت هذا العنوان الاسئلة التى

نقابلها فى الندوات المختلفة حول الاختلاط بين الجنسين ، والعلاقة بينهما فى الجامعات وفى الوظيفة · ويصبح المطلب الملح أمام هؤلاء الأبناء والبنات ما هو رأى الكنيسة فى هذا الموضوع · وفى واقع الأمر ، تتفاوت الاجابة حسب شخصية الخادم أو الكاهن الذى يجيب على هذه الاسئلة · ولكن السؤال المهم الذى يفرض نفسه هو ما هـو رأى الكتـاب المقدس ، وما هـو التعليم الصحيح فى هذا الصدد ، لأن هذا هو الحق وما عداه فهو نسبى شخصى ·

٣ ـ أما الموضوع الثالث فيقوم على الفروق العقائدية بين المسيحية وغيرها من الأديان ، خصوصا وأن هناك حركات نشطة تتمثل فى الارهـاب الفكرى لفرض رأى معين أو عقيـدة معينة · ولا شك أن هـذا الموضـوع يحتـاج الى دراسـة متعمقة ومتأنية تستهدف تثبيت أبنائنا وبناتنا فى الايمان ، وتساعدهم على القيام بالحوار الهادف البناء بحيث لا يخرج عن اداب المناقشة ، ولا يتردى فى أخطاء الجهل أو التعصب الأعمى ·

من هذا كله يتبين أن القاعدة الأساسية التى ينبغى أن نبدأ بها أنه يجب أن نتعرف على عقيدتنا ، وليس المعرفة السطحية ، بل المعرفة التى تشبع العقل والروح · وتبنى الانسـان فى الايمـان ، وتسلحه بمعرفة الكتب المقدسة القادرة أن تحكمه للخلاص · وبعد ذلك يمكن أن نتعرض للموضوعات الأخرى ·

والكتاب ـ على صورته الحاضرة ـ يقدم منهجا لدراسة عقيدة الفداء · يمكن أن يستخدم فرديا واجتماعيا ، أى أن الفرد يستطيع ـ مع استعمال الكتاب المقدس لقراءة الشواهد المشار اليها ـ أن يتعرف على فكر الكتاب المقدس وشهادته فى هذا الموضوع · كما يمكن أن يستخدم فى اجتماعات أو فصول الجامعة وثانوى وحتى اعدادى لدراسة الموضوع على شـكل حلقـات تقدم فى بداية كل اجتماع · وفى الاجتماعات المتعمقة يمكن دراسته على شكل وحدات

بحيث يتناول الاجتماع دراسة وحدة كاملة توزع أجزاؤها على عدد من الدارسين أو الدارسات ليقدموا خلاصة دراستهم للمناقشة فى الاجتماع ، واستخلاص العقيدة من واقع فهم الكتاب · وأرى ضرورة مصاحبة الكتاب المقدس فى هذا الاجتماع ، وقيادة الحوار بحكمة حتى لا تكون العقيدة بالاملاء بل نتيجة المناقشة والحوار والفهم · ولا شك أن الكتاب المقدس هو الأساس الوحيد والصالح لاستنباط النتيجة فى المعرفة اللاهوتية ·

أسأل الله أن أكون قد وفقت الى تحقيق هذه الغاية · خصوصا أنه يمكنا فى العطلة الصيفية أن نستغل أوقات الفراغ الطويلة لانجاز دراسة شاملة وعميقة لموضوع محدد بالذات · كما أرجو اخوتى الخدام والخادمات فى قيامهم بهذه الخدمة ، أن يدونوا ما يعن لهم من ملاحظـات واراء ، أو من نتـائج قد تتمخض عنها التجربة · ويتفضلوا بكتابة مقترحاتهم وارسالها الى فى هذا الشأن ، حتى يمكن تطوير أو تعديل هذا الأسلوب فى الدراسات القادمة ، بحيث نصل الى أفضل النتائج ·

هذه الخدمة هى المسئولية التى وضعت بين أيدينا · وهذه نعمة من الله أن يعطينا يمين الشركة فى هذه الخدمة · ومن ناحية أخرى تتطلب منا الاستجابة الأمينة لكى نتمم هـذا العمل حسب ارادته الصالحة ·

صلوا معى من أجل هذا العمل لكى يكون سبب بركة ، وأرجو أن تتسع قلوبكم لكى تغفروا لى عجزى ونقصى ·

الرب مع جميعكم · آمين ؟

القس **موسى وهبـه مينا**

السبت ١٧ برمهات ١٦٩٠ تذكار استشهاد سيدهم بشاى
٢٦ مـارس ١٩٨٣

الذبيحة
في العهد القديم

الذبيحة
في العهد القديم

وأضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وانت تسحقين عقبه (تك ٣ : ١٥) ٠

* * *

من الواضح أن هناك نوعا من الكشف أو الرؤيا البدائية للانسان ، والتى يجملها هذا النص ، فالشر الأدبى سيتكاثر ولكنه فى النهاية يتم القضاء عليه (هو يسحق رأسك) الا ان هذا القضاء سيكون له ثمنه الفادح من المعاناة والآلم (انت تسحقين عقبه) وكل الدلائل تشير الى ان الله ـ فى هذه اللغة الرمزية ـ عندما أعلن هذه الحقيقة للانسان الاول ، اشار ايضا الى الطقس الرمزى الذى يعبر عن مضمون الرؤيا حتى يأتى ملء الزمان لاعلان سر الله المكتوم فى الفعل الآلهى ٠ وتقدمه الذبائح ـ بما فيها من سفك الدماء ـ جعلت هذا الرجاء فى الفداء أملا ينبض بالحياة ، طوال العصور المظلمة التى سادت فيها الخطية العالم ، كما ألقت الضوء على الطريقة التى يمكن بها انجاز الفداء وقد تشبث الايمان بهذا الطقس ، ومن خلال الذبائح حافظ بحرص ويقين على علاقته وصلته بالوعد والوفاء به ٠ والانسان الحديث كثيرا ما يعبر عن صعوبة قبوله لفكرة سفك الدماء ـ الذبيحة ـ ولا يتردد فى بعض الاحيان من رفضها والثورة عليها ٠ الا أن الذبائح اعلنت فى جلاء ووضوح كيف رسم الله ـ بنعمته ـ طريقا

لمصالحته ، وفى نفس الوقت أفصح عن كراهيته للخطية التى أدت الى التفريق بينه وبين الانسان الذى أحبه ، وبالاضافة الى ذلك فان الذبائح والتقدمات أوحت الى الانسان بخطورة الخطية وضرورة النظر اليها بما تستحق من الجدية والاهتمام ٠

ذبيحة هابيل

(تك ٤ : ١ ـ ١٦)

فى بادىء الأمر يصعب على المرء أن يميز بين ذبيحة هابيل وتقدمة قايين ، لان كلا منهم ـ قدم الى الله ثمر عمله ، فهابيل الراعى قدم من خيار غنمه ، أما قايين الذى كان يفلح الارض فقد قدم من ثمار أرضه وحقوله ومع ذلك فقد نظر الرب الى ذبيحة هابيل اما الى تقدمة قايين فلم يلتفت ٠

ومن الأهمية بمكان أن ندرك هنا ان تقدير الله للتقدمة ـ بصفة اساسية ـ كان يعتمد على شخص مقدمها ٠ ولهذا ينص الكتاب المقدس على ان الله « نظر الى هابيل وقربانه » (تك ٤ : ٤) اما الى قايين وقربانه لم ينظر (تك ٤ : ٥) وهكذا نرى أن الشخص ـ فى كلتا الحالتين ـ هو العامل الحاسم فى قبول أو رفض القربان ٠

وعلاوة على ذلك ، فقد انعكست شخصية مقدم القربان فى طبيعة التقدمة نفسها ٠ وأصبح تعريف القربان من حيث انه التعبير الخارجى الذى يدل على مشاعر الشخص نحو الله وأنه المضمون المادى الذى من خلاله نقدم انفسنا الى الله ٠ وعلى ذلك فالقربان الذى تقدم به كل منهما كان هو السمة القاطعة لروح كل من الأخوين ٠ فاذا كان الحمل المذبوح هو التعبير النموذجى لمشاعر هابيل نحو الله ، فلابد ـ بالتالى ـ انه شعر فى قرارة نفسه أنه

قد اصطلح مع الله أو على الاقل أرضاه ، وهذا يعنى كذلك ان حياة لابد أن تبذل بدلا من حياة ٠

ومع ان هـذه الفقرة أو الحـادثة ـ أذا أخـذت بمفردها ـ لا يمكن أن تكون أساسا لصـياغة عقيـدة ما عن الكفارة ، الا أنهـا توحى لنا بصـورة عن الروحانية التى تتمثل فى شخص هابيـل ، والتى تسـترعى الالتفات فى مثـل ذلك العصـر المبكر ٠ ولا يمكن التسليم بحقيقة هذا الاحساس الدينى والتعبير عنه الا على اسـاس وجـود خلفية خاصة من الرؤيا أو الكشـف الالهى ٠ واذا وضعنا هذه الواقعة فى ضوء العهد الجديد ، فانها تعبر تعبيرا رمزيا عن أجـرة الخطية لان فيها اقـرار بأن الموت هو الطريق الوحيـد لغفران الخطية ، والاعتراف بالموقف المأسـوى لحيـاة الانسان التى تتطلب الذبيحة العظمى التى قدمها ابن الله ٠

ولا يمكن ان يغيب عن أذهاننا نتيجة خطية قايين لانها أدت الى لعنة الانسان : فالآن ملعون أنت من الارض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك (تك ٤ : ١١) فاذا كان سقوط آدم وحواء ترتب عليه لعنة الأرض : ملعونة الارض بسببك (تك ٣ : ١٧) فان جريمة قايين قد استوجبت لعنة الانسان ٠ ولذلك قيل عن ابن الأنسان انه صار لعنة من أجلنا لكى يرفع عن جنسنا لعنة الخطية والناموس ٠

ذبيحة إسحق

(تك ٢٢)

لقد كان امتحان ابراهيم اختبارا لأيمانه بحيث يقوى هـذا الايمان ويزداد عمقا ، وبالتالى يزيد من ثراء هذه الشخصية بحيث تصبح نورا تهتدى به الأجيال القادمة ، فبناء على أمر الله ، كان على ابراهيم ان يقدم ابنه اسحق ذبيحة على جبل المريا ٠ هذه هى

خلاصة رواية الكتاب المقدس عن الموضوع · ومع ان الذبائح البشرية كانت من ممارسات العبادات الوثنية ، الا ان نص الكتاب لا يسمح لنا ان نفترض ان ابراهيم قد اختلط عليه الأمر أو أخذه الوهم بان جهالات العبادة الوثنية وخرافاتها هى بنفسها صوت الله · واذا تتبعنا تفاصيل الوقائع فلا نملك ـ ازاءها ـ سوى اليقين بان ابراهيم نفسه ـ فى الواقع ـ هو الذى كان على المذبح ·

وفى كل العهد القديم لا يوجد امتحان للأيمان يفوق هذا الامتحان شدة وعنفا · وعندما خرج ابراهيم من هذا الامتحان ظافرا ، كان من حقه أن ينال هذا التكريم ، اذ صار لقبه ابأ لجميع الذين يؤمنون (رو ٤ : ١١) وقد أبرزت الرواية عناصر الامتحان ·

لقد كان امتحانا لعاطفة الأبوة الطبيعية ، مما جعله عاجزا عن التصريح بحقيقة المهمة التى سيقوم بها · واما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما (تك ٢٢ : ٥) · لقد كان امتحانا لايمانه بالله لأن الغلام كان هو ابن الموعد ، والذى من خلاله كان يجب أن تتحقق جميع الوعود التى حصل عليها ابراهيم بالبركة · وكان اختبارا للطاعة ، وبالنسبة لهذا الأمر بالذات قام ابراهيم فى الحال وارتحل لمدة ثلاثة أيام ، كانت كل مسافة يقطعها فى هذه الرحلة تمثل تحديا قاسيا على نفسه ، حتى شعر فى النهاية أن عليه ان يكمل مسيرته منفردا مع ابنه اسحق لم يكن هناك سوى سر وحيد لا يستطيع أن يدع ابنه يشاركه فيه ، حتى عندما سأله اسحق : وأين الخروف للمحرقة ؟ ولم يجد بدا من الاشارة الى الله لانه هو الاجابة الوحيدة التى يستطيع أن يبوح بها · وبالاختصار لم يكن أيمان ابراهيم يقوم على اساس من الادراك العقلى ، فقد كان يتحدى كل ظواهر الموقف ويتنافى مع أبسط درجات التعقل الانسانى · ومع ذلك فقد كان ابراهيم يؤمن أن الله ـ بطريقة أو بأخرى ـ سيفى بوعده أن تتبارك جميع أمم

الارض بواسطة اسحق هذا بعينه ، الذى يجب ان يضعه على المذبح ٠٠ كان يؤمن ان الله له طريقته فى تحقيق وعده ، حتى ولو أدى الأمر الى أقامة اسحق من الموت (عب ١١ : ١٩) ٠

ومع أن الرواية تكشف لنا بوضوح ان اله ابراهيم ـ على النقيض من آلهة الأمم المحيطة به ـ لا يطلب دما بشريا كذبيحة ايمان ، الا انها تعلن عن المبادىء الكامنة فى محبة الله الأمينة وعملها وفدائها من أجل خلاص العالم ٠

لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية (يو ٣ : ١٦) وفى عمق مشاعر الأبوة الحانية من جانب ابراهيم ، والطاعة الكاملة من جهة اسحق نستطيع ان نرى المقابل الحقيقى والتحقيق الصادق فى رحلة ربنا يسوع المسيح من الجليل الى اورشليم لكى يضع ذاته على مذبح التقدمة من أجل خطية العالم كله ، كما نستغرق فى رؤية الله الأب الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين (رو ٨ : ٣٢) ٠

ويضع الرب يسوع خاتمة لقصة حياة ابراهيم بقوله : « ابوكم ابراهيم تهلك بان يرى يومى فرأى وفرح (يو ٨ : ٥٦) فان كان هناك مكان ما ، حتى تنفتح فيه عينا ابراهيم لكى يرى رؤى القدير ، فلاشك ان هذا المكان هو جبل المريا حيث رأى حمل المحرقة الذى سيقدم بديلا عن ابنه اسحق ٠

خروف الفصح

(خر ١٢)

لقد شبه بعضهم العهد القديم بحجرة حافلة بالرياش الثمينة ولكن الاضاءة معتمة ودخول النور لا يضيف جديدا الى

محتـويات الحجرة ، ولكنه يبرز جمـال وثراء هذه المحتـويات ونور العهد الجديد هو الذى يستطيع أن يكشف عن مضمون هذا الاصحاح فى كفاية وجلاء ومن هنا يبدأ العهد القديم فى تلقى شحنات وراء شحنات من الأنجيـل الذى بلغ ذروته فى شخص مخلصنا الصالح · فطقس الفصح هو أول مثال لدم الذبيحة الذى لا يسفك فقط · بل يقـدم ضـمانا للخلاص من العبـودية والمذلة ، كما يقدم حزام الأمان للرفقة الراضية والشركة المقدسة ، وكان رش الدم هو علامة الطاعة والقبول لما رسمه الله وعينه ·

كان الخطر ماثلا يتهدد جميع عائلات اسرائيل ، كما كان يهدد كل أسر الأرض ، وكان الملاك المهلك يطالب بنفس البكر فى كل عائلة من حيث أن البكر كان يمثل الأسرة بكاملها وكان حكم الموت يتناول جميع أفرادها · وكان الاعفاء من هذا القضـاء الصارم يقتصر على عائلات اسرائيل أذا وفت بالشرط الوحيد الذى أعطى اساسا لهذا الاعفاء ، وهذا الشرط هو تنفيذ الأمر الالهى تنفيذا دقيقا فى كل تفاصيله · ومن الناحية التاريخية فقد كان هذا الطقس أيذانا برحيـل شعب اسرائيل وخروجهم من أرض العبودية التى رزحوا تحت أعبائها أربعمائة سنة · ولكن هناك بلا شك مقارنة متوازية بين الخروج التاريخى ، والخلاص المسيانى الذى أكمل بموت المسـيح ·

حمل بلاعيب ، يختار بعناية من وسط القطيع ، ويوضع تحت الحفظ لمدة أربعة أيام ثم يذبح ، على ألا تكسر عظمة من عظامه ـ ثم يرش دمه على الأبواب الخارجية لبيوت اسرائيل بينما يشوى لحمه لكى تأكله الأسرة فى وليمة الفصح داخل البيت ، هذا موجز تفاصيل الطقس والتفسير الوحيـد الذى يذكره الطقس ان الملاك المهلك أذا رأى علامة الدم يعبر عن البيت ولايهلك البكر ، ومن هنا كانت كلمة الفصح التى تعنى العبور ، والتى صارت أسما لهذا

العيد منذ ذلك الزمن البعيد · وفى الصباح التالى كانت بداية الخروج من مصر ·

هذا الطقس الذى يشير الى آلام المخاض التى أدت الى ولادة اسرائيل كأمه ظل مرعيا كل الاجيال حتى مجىء المسيح ، وكان هو بنفسه الذى حول الفصح الى العشاء السرى (لو ٢٢ : ١٩ ـ ٢٠) عندما بلغ مرحلة معينة ، وضع خروف الفصح جانبا ـ الذى كان اليهود يطلقون عليه اصطلاحا كلمة الجسد ـ ثم أشار الى أنه قد وضع ذاته على المائدة قائلا : هذا هو جسدى · ان الطقس القديم لم يكن فى مقدوره ان يخلص ـ ولا أى طقس يستطيع ذلك ـ ولكنه كان الفريضة القائمة الرمزية حتى يأتى ذاك الذى هو نفسه بكر عائلة الله ·

الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ·· وهو رأس الجسد الكنيسة الذى هو البداءة بكر من اموات لكى يكون هو متقدما فى كل شىء (كو ١ : ١٥ : و١٨) ·

فبالنسبة له ـ اذا ـ لم يكن هناك فصح ، لانه هو نفسه كان حمل الفصح الحقيقى الحمل الذى أخذ من القطيع ، بلاعيب ، ولم يكسر عظم من عظامه عند موته (يو ١٩ : ٣٦) ·

وكما يخبو ضوء النجوم عندما يسطع نور النهار ، فان هذا الطقس الذى يعبر عن أيمان العهد القديم قد ذبل نوره أمام وهج الظهيرة الذى يتمثل فى ذبيحة المسيح من أجل خطايا العالم ، لان فصحنا ايضا المسيح قد ذبح لأجلنا (اكو ٥ : ٧) ·

وكانوا يأكلون الخروف مشويا بالنار مع فطير على اعشاب مرة · والفطير يعنى اقصاء الخمير عن الخبز ، والخمير يشير الى الخطية ، احترسوا من خمير الفريسيين (أى خطية الرياء) والاعشاب المرة ترمز الى مرارة الاعتراف بالخطايا الذى ينبغى أن يسبق التناول من الذبيحة المقدسة · لان مواجهة النفس

وحسابها يحصر النفس بالنـدم والألم على الخطية التى يقترفها الانسان فتؤدى الى تقديم ابن الله ذبيحة من أجلها ، ومع انه هو بلا خطية الا انه صار خطية من أجلنا ، ولا يجب أن يبق من الذبيحة شيء الى الصباح (خر ١٢ : ١٠) ليسفقط مراعاة للظروف التى كانت ستقابلهم ، ولكن اشارة ايضا الى ان جسد الرب لم يبت على الصليب الى اليوم التالى ـ الفصح · ولهذا فان طقس التناول فى الكنيسة لا يسمح ببقاء شيء من الذبيحة الى اليوم التالى بل يجب ان يستنفذ تماما فى نفس اليوم ·

التقدمة والرجوع إلى الله

(لا ١ - ٧)

يحدد سفر اللاويين بالتفصيل مظاهر علاقة الانسان بالله ، من حيث تقديم القرابين · وكما ان سفر الخروج يلح على أعلان خلاص الله من العبودية ، فان سفر اللاويين يؤكد على رجوع هؤلاء المعذبين الى حياة الشركة مع الله بواسطة الذبائح والتقدمات ·

وقواعد القرابين كما أعطيت لموسى النبى كانت تشمل تبويبها النوعى ، وتفاصيل المراسم التى يجب ان تؤدى وكلمة القربان هنا تعنى جميع التقدمات التى تقدم امام الله ، وطبيعة التقدمات تندرج ـ من حيث النفقة ـ من الاعلى الى الأرخص حسب حالة مقدم القربان· فالى جوار الثيران والعجول والأغنام والماعز كانت الطيور واليمام يقبل من الفقراء ، ولكنها جميعها تقوم بوظيفتها من حيث هى كفارة ، أى أنها كانت تقوم بالتطهير الطقسى من الخطية · وكان المبدأ الذى يقوم عليه تقديم القرابين انه عمل اختيارى تماما ·

وقد دعيت ذبيحة المحرقة بهذا الاسم لانها كانت توضع على المذبح وتحرق عن آخرها ومن هنا كانت ذبائح المحرقة تقدمة كاملة : يجب ان تكون ملكا خالصا لمقدمها ، بلا عيب ، تنتقى من بين أفضل القطيع لان الأفضل فقط هو الذى يقدم لله ، ثم يضع مقدم الذبيحة يديه على رأس الذبيحة ويعترف بخطاياه مما يعنى رمزيا ان خطاياه قد انتقلت الى هذا الحيوان ، وهكذا يصبح الحيوان حاملا للخطية ـ مع انه بطبيعته غير قابل للخطية ـ وبالتالى يذبح ويوضع على مذبح المحرقة لكى يحرق تماما · ورش الدم بواسطة الكاهن دليل على ان حياة ما قد قدمت · وفى رسم الذبيحة أصلا يتضح أن ذبيحة المحرقة هى ذبيحة خطية ايضا ، ولو أنها فيما بعد صارت تعبيرا عن الخضوع وتكريس الذات لله بحيث تشمل ضمنا معنى الفداء ، أى دفع الفدية عن الخطية : ويضع يده على رأس المحرقة ، فيرضى عليه للتكفير عنه (لا ١ : ٤) ·

وهناك تقدمات أخرى تتناسب مع مختلف الاحوال ، فذبيحة الخطية (لا ٤ : ٣) كانت تعالج الاحساس بالذنب ، وتنقل الى الخاطىء الضمان الأكيد للغفران والصفح ، وبالتالى رجوع الخاطىء الى شركة المؤمنين والشركة مع الله · اما ذبيحة الآثم (لا ٥ : ٦) فكانت تستهدف أنواعا معينة من الاخطاء بدلا من الخطية بصفة عامة ، وكان الهدف منها أيضا هو التماس المغفرة واستعادة السلام · وذبيحة السلامة (لا ٣ : ١) تعالج التغرب عن الله وتلتمس الاقتراب منه وتجديد العهد معه · اما تقدمة الدقيق ـ وهى تقدمة غير دموية ـ فهى تعبير عن الأقرار بفضل الله وشكرا له على أحساناته ، ورغبة فى دوام نعمته ، ولابد لنا أن نلاحظ تلك الوحدة الرمزية التى يتضمنها الطقس بين مقدم الذبيحة والتقدمة نفسها ، والعناصر الشخصية تمثل دائما الندم من ناحية والفرح من ناحية أخرى ·

والذبائح والتقدمات ـ من حيث وظيفتها فى نطاق العهد الذى قطعه الله مع اسرائيل يمثل عـدم كفاية الانسـان من أجل خلاص نفسه ، ولكنها كلها كانت تشير الى المستقبل ، فالكفارة التى تقدم انما هى غطاء يسـتر الخطية حتى يتم انتزاعهـا والخلاص منها بذبيحة الصليب ، وسوف نرى فيما بعـد كيف يوضح لنا العهـد الجديد هذا الأمر ، وكيف تجمعت فى ذبيحة الصليب كل المعانى التى ترمى اليها ذبائح وتقدمات العهد القديم مجتمعة ٠

الذبيحة المزدوجة

(لا ١٦)

ان الذبائح التى يتناولها هـذا الاصحاح تتعلق جميعا بيوم الكفارة ، اكبر احتفالات اليهود لانه اليوم السنوى للتوبة العامة ، حيث يتم الاقرار بكل ذنوب بنى اسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم (لا ١٦ : ٢١) للتطهير والغفران ٠

وما يعنينا هنا ، ان نتعرف على لون جديد من الذبيحة ، ذبيحة تضم حيوانين ولعل الأمر كان يتطلب هذه الذبيحة المركبة حتى تعبر عن غفران الخطايا أو الصفح عنها تعبيرا وافيا ، ولها قيمتها ومعناها ايضا ان هذه الذبيحة تنطوى على الحياة والموت معـا ، فيقتل أحد الحيوانين بينما يطلق الآخر حيا فى البرية ٠

ويعلمنا الكتاب ان احد التيسين للرب والأخر لعزازيل أى حافة الصخرة أو التيس الناجى الذى نجا وعزازيل هو نقل حرفى للكلمة العبرية والتى قد تعبر عن تشخيص لحالة من الترك ويبدو أن التيسين كانا يمثلان بعدان من أبعاد خطية الانسان ، ذنبه امام الله ، ونجاسته الشخصية ٠

ويقرب التيس الاول ـ الذى وقعت عليه القرعة ـ ليكون ذبيحة خطية ، ومع انه لا توجد اشارة خاصة لوضع الايدى للاعتراف بالخطايا ، فالرب هو الذى وضع عليه اثم جميعنا (اش ٥٣ : ٦) ولهذا يؤكد على أن هـذا التيس هو ذبيحة خطية من أجـل جميع الشعب (لا ١٦ : ١٥) فيذبح تيس الخطية ويدخل الكاهن بدمه الى داخـل الحجاب وينضح منـــه على الغطاء (كرسى الرحمـة) وقدام الغطاء ، وهكذا يكفر عن الخطية من نجاساتهم ٠

وبعد ذلك يؤتى بالتيس الآخر الى رئيس الكهنة ، فيضـع يديه على رأس التيس الحى، ويقر عليه بكل ذنوب بنى اسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم (لا ١٦ : ٢١) فيصبح الحيوان حاملا للخطية ، وبالتالى لا يجوز اعادته ليحتل مكانه فى وسط القطيع ، فيقوده من يلاقيه فى البرية حيث يطلق فى ارض مقفرة ، ولا يعود احد يراه بعـد لقـد حمـل على كاهله خطية الانسـان ونجاسته الشخصية ٠

ومن الملاحظ هنا ـ لذلك ـ أن فى هذه الذبيحة الواحدة عن الخطية يوجد تكفير عن الخطية من ناحية ، والتخلص أو الانفصال عنها من الناحية الأخرى ٠ الخلاص من نجاستها فى نظر الله ، ومن الوقوع تحت طائلة لعنة الخطية فى الحياة وفى الكيان الشخصى نفســـه ٠

والعهد الجديد وحده هو الذى يلقى الضوء على هذه الذبيحة العجيبة ، فان معناها يتجلى تماما ويتحقق بالكمال فى ذبيحـــة الصليب حيث انطوت على كل من الموت والحياة ٠ فعلى خشـبة الصليب جاز الرب حيا تلك التجربة المرة التى يعنيها حمل الخطية حتى صرخ قائلا : قد اكمل ، وفى هذه اللحظة فقط طأطأ رأســه واسلم الروح (يو ١٩ : ٣٠) وفى تلك المحنة التى بلغت ذروتها فى الموت ، دخل الرب نطاقا من الآلم والمعاناة لم تطأة قدم انسان من قبل ، لانه هناك صار لعنة من أجلنا ٠

+ المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة من أجلنا لانه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة (غل ٣ : ١٣) ٠

وقد كان التعبير الظاهرى المادى لهذه الحقيقة التاريخية انه تألم خارج الباب ٠

+ ولما مضوا به الى الموضوع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين ، واحدا عن يمينه والآخر عن يساره (لو ٢٣ : ٣٣) ٠

+ لذلك يسوع ايضا لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب (عب ١٣ : ١٢) ٠

ولكن الرب قام من بين الأموات ، وعاد حيا ولكى يهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به ، ولكى يقدم قوته وسلطانه فى الغلبة على الموت سلاحا فى يد المؤمنين فيحاضروا بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامهم لان الفارس الغالب والذى خرج لكى يغلب قد أعطى أمكانية الغلبة والظفر لكل من يحيا فى الشركة معه ، كل غصن يثبت فى الكرمة الحقيقية ، وهكذا صار الصليب والقيامة هما المحور الذى تقوم عليه حياة الايمان ٠

إبتذال الذبيحة

(أر ٧)

ننتقل الآن من الكاهن الى النبى ، ومن الطقس والذبيحة الى فعل العناية الالهية والسلوك الاخلاقى : بم اتقدم الى الرب وانحنى للاله الحى ، هل أتقدم بمحرقات بعجول ابناء سنه هل يسر الرب بألوف الكباش ، هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى ٠ قد اخبرك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلب منك

الرب الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة · وتسلك متواضعا مع الهك (ميخا ٦ : ٦ ـ ٨) ·

لقد تضمنت عظة الهيكل التى ألقاها ارميا النبى جحدا واستنكارا لمظهرية العبادة التى سادت فى يهوذا ، وعلينا أن نلاحظ تكرار عبادة « هيكل الرب » كناية عن المخافة والتكريم فلم يكن الهيكل مجرد مكان مقدس بل كان يشير بالاكثر الى عناية الله الخاصة بهم · فكل الذين كانوا يقدسون بيت الرب كانوا يعتبرون موضوعا خاصا لعناية الله : فانى أسكنكم فى هذا الموضع فى الأرض التى اعطيت لابائكم من الأزل والى الأبد (ار ٧ : ٧) ·

لقد تعرض النبى بشجاعة وجرأة لكى يدين هذه الشكلية وما تنطوى عليه من خداع وتزييف لروح العبادة لقد وصمهم النبى بالظلم وعبادة الاوثان ، وكشف عن ريائهم اذ كانوا يلجأون الى الهيكل من حين الى حين رغم ارتكابهم لاعمال النهب والعنف والسرقة طالبين ان تشملهم حماية الهيكل · وهذا بلاشك ما أدى الى وصف الهيكل بأنه مغارة لصوص · هل صار البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم (ار ٧ : ١١ ومت ٢١ : ١٣) وقد أضافوا الى اعمال العنف والقسوة ، وجرائم النهب وسفك الدماء السقوط فى عبادة الاوثان ، فرفعوا البخور أمام البعل (ار ٧ : ٩) وصنعوا كعكا لملكة السموات (ار ٧ : ١٨) مما يشير الى عبادة عشتاروت البابلية التى كان يمارسها النساء بصفة خاصة ، بل وانغمسوا فى الممارسات الوحشية الكريهة التى تقدم فى عبادة مولك ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار (ار ٧ : ٣١) ·

وبالرغم مما اتصفت به حياتهم من ارتداد عن عبادة الله الحى ، وما تفشى فيها من خيانة وقسوة وعنف ، فانهم كانوا لا يتورعون عن الالتجاء الى ممارسة الطقس الخارجى لعبادة الهيكل فيأتون بذبائحهم قدام الله كما اعتادوا والفوا من قبل · ولهذا يدعوهم ارميا باسم الله ان يتركوا زيف ديانتهم ، ويسخر من

ممارساتهم الصورية فيدعوهم : ضموا محرقاتكم الى ذبائحكم وكلوا لحما (ار ٧ : ٢١) المحرقات التى كان يتحتم ان تحرق بالكامل للرب رائحة رضى وسرور ، حتى هذه طلب منهم ـ ساخرا ـ ان يستخدموها للطعام لانها فقدت قيمتها ومعناها فى عينى الله · وبتعبير آخر نقول ان الذبائح فقد فقدت مضمونها الروحى تماما مادامت تقدم بروح لا تليق ولا تساير معناها الروحى الاصيل ·

ويذكرهم أرميا بأبهى عصورهم التاريخية ، عندما تدخل الله لكى يخرجهم من أرض مصر فانه لم يطلب منهم ان يقدموا الذبائح الدموية ، وبالتالى فهى ليست أساس خلاصهم ، ولو أنهم كان لزاما عليهم أن يقدموا هذه الذبائح بعد خلاصهم وخروجهم (خر ٥ : ١٠ و ١٠ : ٢٥) ما كان يطلبه الرب منهم شرطا لحضوره فى وسطهم ، والتدخل من أجلهم هو الطاعة والخضوع لمشيئته الصالحة المقدسة · لقد كانت الوصايا العشر ، وليس ترتيب الذبائح، هو اساس العهد الالهى الذى يقتضى طاعتهم طاعة حرفية فى سلوكهم وتصرفاتهم · لقد نسيت هذه الأمة ذلك المطلب الجوهرى ، وصار الشر سمعة عامة متواصلة حتى تفاقمت مظاهرها فى ايام النبى الباكى ، ومع ذلك فقد ثابروا على تقديم الذبائح والتقدمات ، وقد أخذهم رجاء واهم كاذب انهم بذلك يتجنبون دينونة الله على فجور حياتهم ·

لقد أعلن الرب يسوع دينونته الصارمة لشكلية العبادة ، واستنكر اقتصارها على المظاهر دون الروح ، ولذلك وبخ الكتبة والفريسيين المرائين لانهم : يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها

بأصبعهم ، ولانهم يكتفون ان يعرضوا عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ، ولأنهم يغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، ويأكلون بيوت الارامل ، ولعلة يطيلون صلواتهم ، لانهم عوجوا كلمة الله وابطلوا وصيته بالأوامر والقواعد التى وضعوها لتنفيذ الشريعة (مت ٢٣) كما تناول القديس بولس هذه الظاهرة وشجب تزييف الايمان تحت الاحتفاظ بالصورة المظهرية فى العبادة : لانه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) ان التدين الذى يتحرر من المضمون الأخلاقى لا يجد له سندا من الأنجيل الذى يقوم على طاعة الرب يسوع الى المنتهى حتى الموت موت الصليب ٠٠ وهذه النظرة لازالت قائمة تنبض بالحياة ٠

وكم هو مؤلم ومحزن للقلب ان تتسلل هذه الشكلية الى عبادتنا فى الوقت الحاضر ، فتفسد حياتنا وتتغير ضمائرنا التى نحاول تهدئتها بالحرص على صورية العبادة فيمارس البعض سر الاعتراف دون مواجهة النفس بالخطايا والنجاسات التى سقطوا فيها مع ما يقتضيه ذلك من احساس عميق بالندم ورغبة صادقة فى تجديد العهد مع المسيح للسلوك حسب الروح وليس حسب الجسد ٠٠ ومنا من يستبيح لنفسه بعض الخطايا فلايرى انها تستحق منه عناء الاعتراف مثل الغش فى الامتحانات ، وعدم الأمانة فى المعاملة أو التجارة ، أو مسايرة الفساد الذى بدا وكأنه من ملامح الحياة المألوفة ومن الآباء والأمهات من يعطى ابناءه وبناته وصايا وأوامر تتنافى صراحة مع وصية الله ، ومنهم من يقصر فى عمل التربية ظانا ان هذا شأنه الخاص ولاحق لانسان ـ كائنا من كان ـ

ان يتدخل فى هذا الأمر ، ومنهم من يفرض وجهة نظره على هؤلاء البنين والبنات حتى فى الأمور الدقيقة التى تمس حياتهم الشخصية مثل الزواج مما قد يؤدى الى سلسلة رهيبة من المتاعب العائلية ٠٠ والكثيرون من كل هؤلاء يحرص على الانتظام فى حضور القداسات والتناول من الأسرار المقدسة ، بل منهم من يقوم بالخدمة فى الكنيسة ، ماذا يقول الرسول بولس لكل هؤلاء ، وهو يهاجم هذه الشكلية فى العبادة :

+ اذا أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه ٠ ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس ٠ لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ٠ من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون ٠ لاننا لو كنا قد حكمنا على انفسنا لما حكم علينا ٠٠ ولكن اذ قد حكم علينا نؤدب من الرب ، لكى لا ندان مع العالم ٠ (اكو ١١ : ٢٧ ـ ٣٢) ٠

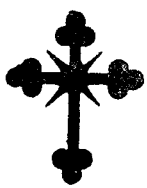

الفداء
في العهد القديم

الفـــداء
فى العهـــد القـــديم

انمـــا الله يفـــدى نفسى من يد الهـــاوية لانه يأخـــذنى (مز ٤٩ : ١٥) لكن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا · وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لاجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه ، وبحبره شفينا · (اش ٥٣ : ٤ ــ ٥) ·

* * *

مع ان كلمة الفداء تستخدم الان اصطلاحا للتعبير عن عمل المسيح كله ، فانها فى العهد القديم لا تدل الا على معنى نوعى خاص ، فهى تشير عامة الى الخلاص على اساس دفع الفدية كما هو الشأن فى موقف العبد أو السجين أو أسير الحرب أو من اجل ابراء المحكوم عليهم · وفى المعنى الروحى الذى يقصده العهد القديم ، فانه يتكلم عن الله الذى يعمل الخلاص بذراع ممدودة من أجل شعبه ، وهذا يعنى انه يتمم الخلاص ــ لا بدفع الفدية العينية أو المالية ــ بل ببذل الطاقة واستخدام القوة · وعلى هذا فالفداء دائما يتم على حساب الفادى والمخلص · بالنسبة للمسيح يذكر الانجيل المقدس انه صنع الفداء على حساب دمه الذكى الثمين ·

+ الذى فيه (المسيح) لنا الفداء ، بدمه غفران الخطايا ، حسب غنى نعمته (اف ١ : ٧) ·

مُدن الملجأ

(عد ٣٥ : ٩ - ٢٨)

بينما تعنى كلمة الفداء الخلاص والنجاة عن طريق الدفع ، فان طبيعة عمل الخلاص وطبيعة النفقة أو الدفع ـ الفدية ـ يجعل معنى الكلمة يتسع لكى يغطى مساحات واسعة ومتباينة من الخبرة البشرية ٠

ومع أن تأسيس مدن الملجأ قد وضع تصميمه أساسا لكى يمنع اندلاع الخصومات الدموية والأخذ بالثأر ، الا انه يفصح عن عناية الله واهتمامه بمصير الحياة الانسانية عندما يتهددها خطر خاص ، كما يكشف عن استعداده الألهى لانجاز هذا الخلاص دون أن يتعارض مع مطالب العدالة ٠

ففى حالات ارتكاب جريمة القتل ، ينص قانون المجازاة على اعطاء حق ولى الدم لأقرب الناس الى القتيل ، ويسند اليه واجب الانتقام لموت قريبه ٠ وقد أسفر التطبيق العملى عن عدة مشاكل فكان من الضرورى وضع القواعد التى تميز بين القتل العمد والقتل السهو ٠ وكانت النتيجة تشريع العديد من القواعد والأجراءات المعقدة تحسبا من أن ولى الدم قد يتصرف فى عجلة من أمره أو دون تحقيق العدالة كما قد يحدث عادة تحت وقر الاحساس بالمهانة أو الأساءة ٠ وفى الأيام الخوالى كان القاتل سهوا ـ اى دون تعمد ـ يجد ملجأه فى الهيكل عند المذبح ، مما يدل على أن الله كان هو الذى يحمى حياته ٠ فعندما خاف أدونيا من سليمان الملك قام وانطلق وتمسك بقرون المذبح (امل ١ : ٥٠) وهكذا فعل يوآب خوفا من بطش سليمان (امل ٢ : ٢٨ ـ ٣٤) ٠ وفى كثير من المناسبات الأخرى بعد أن تم بناء الهيكل فى موضعه

المحدد ، لم يكن فى متناول اللاجىء ان يصل اليه فى حالات الطوارىء العاجلة · ومن هنا كانت الضرورة لتحديد مدن الملجأ التى تقدم المأوى والأمن للهارب من وجه ولى الدم · ولكن من الملاحظ أنه حتى فى حالات القتل الخطأ كان على المخطىء أن يحتمل الحجز أو تحديد الاقامة داخل مدينة الملجأ حتى يموت رئيس الكهنة · وطبقا للتقليد اليهودى ـ التلمود ـ فان هذا يعنى أن رئيس الكهنة يأخذ على عاتقه مسئولية الموت العرضى أى القتل الخطأ ، وبالتالى يتم فداء هذا الأثم بموت رئيس الكهنة ·

ولا شك أن قتل الانسان عصيان لناموس الله : لا تقتل ولو انها بطبيعة الحال تزداد جسامة وخطورة باضافة عنصرى الكراهية والقصد الشرير ، ونخلص من المعنى الأجمالى لشريعة مدن الملجأ ، الى ان الله يفسح مجالا لحماية الحياة المهددة بالخطر بحيث تستوفى العدالة والرحمة حقهما الواجب ولا يصعب علينا فى هذا الموقف أن نرى ظل الامور العتيدة حتى فى هذا الزمن المبكر ـ ان عدالته ورحمته لابد وان يعملا من أجل حماية الخاطىء حتى من اثار حماقته الشخصية وخطيته · وليس من الصعب أن نتعقب معنى هذا الأمر عندما نشير بأصابعنا الى رئيس كهنة الخيرات العتيدة ، ربنا يسوع المسيح ، يأخذ على عاتقه خطية المذنبين فيفتديها بموته ، وبالتالى يطلق سراحهم : يحررهم ويبررهم : من أجل أنه سكب للموت نفسه ، واحصى مع أثمه وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين (اش ٥٣ : ١٢) ، وعلى اى حال فقد عودت هذه الشريعة شعب أسرائيل على فكرة الفداء من حيث هو شرط من شروط الصفح عن الخطايا · ومد جسور الغفران الى الانسان الملوث بالخطايا والآثام ، ومعنى هذا ان أجرة الخطية لابد من الوفاء بها ـ الموت ـ وهذا ما يعبر عنه بانه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ، وبالغفران يمكن أن تعود شركة العهد بين الله وبين الخاطىء التائب ، الذى وفى الرب يسوع عنه أجرة الخطية بذبيحة نفسه على الصليب ·

سنة اليوبيل

(لا ٢٥)

أعلان السنة السبتية يتبع النمط الذى يسير عليه السبت الأسبوعى ، فهناك ستة سنوات للعمل وفلاحة الارض والسنة السابعة سنة سبت أو راحة ، وبعد تعاقب سبع سبوت سنين كانت تعلن السنة الخمسين باعتبارها سنة اليوبيل • وفى كلتا الحالتين لم يكن الاحتفال خلوا من معنى • ففى السنة السبتية كان من الضرورى أن تستريح الأرض وتبقى لمدة سنة كاملة بدون زراعة • وكان الناتج الطبيعى لهذه الأرض مباحا للجميع مجانا ، وبفعل بركة الله كان هذا الناتج كافيا لاحتياجات الجميع • وفى النظم المعاصرة ، خصوصا ما يخضع لنظام الدورات الزراعية ما يشابه هذا الترتيب ، ولكن بدون المعنى الدينى الذى يتضمنه •

وسنة اليوبيل كانت تعنى أن راحة السنة السبتية السابعة لابد وأن تمتد سنة أخرى كما ان قيمتها ومضمونها الدينى يمتدان تبعا لذلك ، وكانت سنة اليوبيل تستهل بيوم الكفارة لكى تصبح سنة أطلاق وتحرير للاشخاص والمتلكات ، فاذا بيع يهودى الى شخص أممى ، أو صار تحت نير العبودية بسبب ديونه وعدم قدرته على الوفاء بها ، كان من الضرورى ان يفتديه أقرب الناس اليه ، واذا لم يكن ذلك فى الامكان ، ففى سنة اليوبيل تنقضى هذه العبودية وتنتهى من تلقاء نفسها ، ويصبح حرا من جديد •

وعلى نفس النهج ، أذا كانت الأرض مباعة الى واحد من الأمم ، فلابد من فداء الارض ، أما أن يشتريها صاحبها الاصلى (لا ٢٥ : ٢٦) أو أقرب الناس اليه ، وعندما يتعذر تحقيق ذلك فلابد ان تعود الأرض الى صاحبها الاصلى فى سنة اليوبيل وهكذا صار الأشخاص والمتلكات والارض خاضعة لناموس الفداء •

هذه الشريعة السبتية تلقى ضوءا أكبر على مبدأ الفداء الذى كان عتيدا أن يعلن بجلاء فى فداء البشر من عبودية الخطية ، ولايقتصر الخلاص على اشخاصهم ، بل وكل ما وهب لهم من قبل الله يشترك فى هذا الخلاص الكامل · وتعلمنا هذه الشريعة أنه وأن كنا فى آدم قد قامرنا بميراثنا ، فاننا فى المسيح قد استعدنا ميراثنا المفقود وتخلصنا تماما من عبودية الخطية والهلاك ، وصار الجسد والحواس والأعضاء كلها مقدسة لله ·

+ كذلك انتم ايضا احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا اذا لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته · ولا تقدموا اعضاءكم الات اثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم الات بر لله · فان الخطية لن تسودكم لانكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة (رو ٦ : ١١ ـ ١٤) ·

+ فاطلب اليكم ايها الاخوة برأفة الله ان تقدموا اجسامكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، عبادتكم العقلية ، ولا تشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى أرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢ : ١ ـ ٢)·

+ واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح (اتس ٥ : ٢٣) ·

من هنا ندرك ان كل عطايا الله من أمكانيات وقدرات ومواهب بعد أن تنجست وتدنست بفعل الخطية ، نستردها مطهرة مقدسة فى الفداء العظيم الذى لنا فى المسيح يسوع ربنا ·

الخلاص من أرض العبودية

(خر ٦ : ٢ - ٩ + ١٥ : ١٣ - ١٨)

هنا يذكر الله موسى بمواعيده التى قطعها مع اباء جنس اسرائيل ، ابراهيم واسحاق ويعقوب ـ ويعلن له أن تحقيق هذه الوعود بات قريبا على الابواب ، وبسلطانه الالهى ـ الله ضابط الكل ـ أعطى هذه الوعود ، والان يهوه ـ اله العهد الامين ـ سوف يتممها ويفى بها · وفى هذا الاسم ـ يهوه ـ رؤيا ممتدة لشخص الله ·

ويضم وعد العهد كل أرض كنعان التى تغرب فيها آباؤهم ـ ولكن فى ملء الزمن ـ حسب تدبير الله ـ قد آن الاوان لكى تصبح ملكا لنسلهم ، وهذا يشمل ضمنا التدخل فى جانبهم الذى يشير اليه الله بكلمة الخلاص بذراع ممدودة ، وعبارة « يخلص » تحمل فى طياتها معنى الفداء كما وجدناه فى الفقرة السابقة ـ أى الفدية على حساب الفادى القريب ·

والهدف الالهى ـ على أى حال ـ يشمل اكثر بكثير من مجرد الأرض ، انه يتضمن معرفة الله من حيث هو اله العهد ، الذى يستخدم قوته وسلطانه ليس فقط من أجل خلاصهم وخروجهم من أرض مصر ، ولكن أن يأتى بهم الى موطن جديد ، الى أرض كنعان· والله نفسه يفوق عطاياه كثيرا جدا · وكل هذا يضمنه ويؤكده معنى اسم العهد ، الذى يتكرر مرارا بنفس الصيغة : انا الرب ·

والفداء خبرة عميقة تدفع الانسان الى النشيد والغناء بالفرح والتسبيح · وعندما أصبح الخلاص من أرض مصر ـ بتدخل الله المباشر ـ حقيقة واقعة ، تبدت لموسى النبى رؤيا جديدة عن أمانة الله أعرب عنها فى تسبحته المشورة ـ التى نطق بها بفعل الروح

القدس ـ على الجانب الآخر من البحر الأحمر (خر ١٥ : ١ ـ ٢١) ويتطلع موسى بعين الأيمان ليرى تحقيق كل مواعيد الله حتى النهاية ٠

+ ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك الى مسكن قدسك (خر ١٥ : ١٣) انه يصور الحقيقة كما لو كانت قد تمت بالفعل ، حتى ولو كانت كنعان وجبل صهيون مازالتا على بون شاسع بالحساب العادى سواء من جهة الزمان ـ سنين طويلة ـ أو من جهة المسافة ـ سينا ـ أو من جهة الخبرات الاليمة والضيقات التى واجهتهم اثناء ارتحالهم ٠

أن نظرة الكتاب المقدس الى هذا الحدث الكبير ، هى أن الخروج من أرض مصر لابد وأن يعد عملا من أعمال الفداء الالهى الذى يوجه النظر الى فداء أعظم تضمنته ذبيحة ابن الله والكلمات الاخيرة فى النشيد تتوهج بما ينعكس فيها من خلاص البشرية بأسرها ابتداء من الصليب حتى تاج المجد ، الرب يملك الى الدهر والابد (خر ١٥ : ١٨) ٠

ويتردد صدى هذا النشيد عبر التاريخ ، لكى يكون أنشودة فى أفواه القديسين الذين غلبوا بنعمة المسيح ، ويصبح تعبيرا عن نشوة الخلاص الذى يعيشه ويحيا فيه أولاد الله فى هذا العالم أو فى الدهر الآتى ومن هنا أطلق على القديسين الذين اكملوا جهادهم « الكنيسة المنتصرة » بينما تسمى جماعة المؤمنين على الارض « الكنيسة المجاهدة » وعندما صرخ الشهداء الى متى لا تنتقم يا رب لدمائنا ؟ يستمهلهم المخلص حتى يكمل العبيد رفقاؤهم جهادهم على الارض ٠ فلا يسمع هؤلاء الغالبين على الوحش وصورته وعلى سمعته ، الا أن يمسكوا قيثاراتهم أو بالحرى قيثارات الله وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله ، وترنيمة الخروف قائلين عظيمة وعجيبة هى أعمالك ايها الرب الاله القادر على كل

شيء ، عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين (رؤ ١٥ : ٣) ولا يعدو الخلاص من أرض العبودية أن يكون هو التعبير المادى التاريخى عن الخلاص الذى انجزه مخلصنا الصالح ٠

فداء البكر

(خر ١٣ : ١ - ١٦)

من الامور ذات المغزى العميق ، اختيار حادثة الخلاص من أرض العبودية والخروج من أرض مصر لكى تكون تذكارا دائما وخاصا لشعب اسرائيل ، وقد تحددت وتعينت للذكرى الأبدية فى تأسيس عيد الفصح ، فقد وضع على جميع الأباء واجبا دينيا ان يخبر ابناءه بأصل ومعنى فرائض وطقوس هذا العيد ٠ ولهذا السبب فقد ظل هذا العيد على مكانته فى جميع الأجيال ، حتى فى مقابله من العهد الجديد ـ العشاء الربانى ـ سيظل كذلك حتى مجيء الرب الثانى ، شهادة ووثيقة لصدق واحدة من أعظم المعجزات التى سجلها التاريخ الانسانى ٠

ولكن ما هو مفادها ومطالبها بالنسبة للمفديين ؟ قدسوا لى كل بكر فاتح رحم (خر ١٣ : ٢) اى افرز وقدس للرب الحياة التى خلصها فى مصر فى ليلة ضربة الابكار ، ان النصيب الذى طلبه الله ، سواء من البشر أو البهائم من أجل خدمته الخاصة كان هو البكر فالأبكار يحملون فى ذواتهم علاقة خاصة بالنسبة للمجموع ، وبمعنى ما ، كانوا يمثلون هذا المجموع ٠ والتكريس الذى يقع من نصيب الحيوانات يتمثل فى تخصيصهم للذبائح ، وحيث أن الذبائح البشرية لم يكن مسموحا بها ، فان الأبكار كان يجب فداؤهم بالمال وليس بالذبائح (عد ٣ : ٤٦ وما بعده) ٠

لذلك كان على اسرائيل أن يدرك ان للفداء مطالبه ومقتضياته، وأنه يجب مواجهة هذه المطالب بروح البذل والتضحية ٠ وبينما

كان تقديس البكر وتكريسه هو آخر مدى للذبيحة التى يتطلبها ناموس موسى ، فالامر يختلف فى عصر الانجيل فاشخاصنا بكاملها ـ جسدا ونفسا وروحا ـ وكل ما نملك وكل كياننا أنما هو مكرس ومقدس لله الذى افتدانا ٠

+ ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وانكم لستم لا نفسكم ، لانكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله (اكو ٦ : ١٩) ٠

الخلاص من السبى البابلى

(اش ٥١ : ٤ ـ ١١ و٥٢ : ٣ ـ ١٢)

لقد كان بنو اسرائيل شعبا له تاريخ ، وقد أسهم هذا التاريخ فى عقيدة الانبياء بأن ما فعله الله فى الماضى سيفعله أيضا من أجل شعبه ٠ وقد كتب هذا الفصلان المشار اليها فى ظروف الأسر والسبى البابلى الذى تعرضت له مملكة يهوذا ، وكانت فكرة العودة تداعب خيالهم طوال أيام السبى ، ولكنها كانت تستمد قوتها وصدقها من أن هؤلاء المسبيين هم مفديو الرب وان خلاصهم سيبدو فعلا جديدا من أفعال الفداء حيث يشعر الكل من جديد بقوة الله وقدرته السائدة ، ففى الفقرة الاولى (اش ٥١ : ٤ ـ ١١) نستطيع ان نسمع صرخة الكنيسة الأسيرة وأنينها فى أرض غربتها ، ولكننا فى الفقرة الثانية (اش ٥٢ : ٣ ـ ١٢) نستمع الى جواب الله وتعزياته الحانية الرقيقة ٠

لقد وعد الرب شعبه المسبى بأن تدخل بره قد بات وشيكا : قريب برى ٠ قد برز خلاص وذراعاى يقضيان للشعوب (اش ٥١ : ٥) ويصرخ شعبه اليه يتعجل ساعة الخلاص ، وعندما

يحدث هذا يبدو كما لو كان الله يستيقظ من النوم ، وشعبه لا يدرك قوته الحية · ولكنهم عندما يعيدون النظر فى أعمال الخلاص السابقة · ويتأملون قوته التى لا تتحول ولا تتغير يتجدد فى أنفسهم الرجاء والثقة · ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بالترنم ، وعلى رؤسهم فرح أبدى ، ابتهاج وفرح يدركانهم · يهرب الحزن والتنهد (اش ٥١ : ١١) ، لقد ظلوا يحتفظون بهويتهم ، مفديو الرب « حتى وهم فى السبى » ، وبفضل هذه العلاقة كانوا واثقين من العودة ·

اما الفقرة الثانية (اش ٥٢ : ٣ ـ ١٢) فنعاين فيها استجابة الله حيث تكتمل الرؤيا وينجلى الخلاص العظيم الذى يستغرق أشواق اليهود · شعب الله ساجد فى التراب والرماد ، مستعد للموت لكنه يصحو ويجدد قوة عند سماعه دعوة الله · يهوذا ـ فى حماقتها وطياشتها ، باعت نفسها للسبى ، ولكنها ستفتدى ، لا بالثروة المادية بل ـ بقوة الله القدير · واستعدادا لهذا الفداء العظيم كان على المسبيين أن يؤدوا واجبا روحيا : كان لابد لهم ان يعتزلوا فورا كل ظروف سبيهم الروحية لكى يعودا الى نقاوة ايمانهم القديم ، اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا نجسا ، اخرجوا من وسطها : تطهروا يا حاملى آنية الرب (اش ٥٢ : ١١)·

من هنا نتعلم أن خلاص الله لابد وأن يؤدى الى علاقة راسخة معه ، فهذا هو الأساس لعودة الحياة التى تلى هذا الخلاص ، والعودة الى أرض الموعد ، وفى هذه الفقرة يجد القديس بولس اشارة خدمة الوعظ المسيحى ·

+ وكيف يكرزون ان لم يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل اقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات (رو ١٠ : ١٥) ·

كما يرى فيها نداء موجها الى كنيسة المسيح حتى تعتزل فساد هذا العالم ·

+ فانكم انتم هيكل الله الحى ، كما قال الله انى سأسكن فيهم وأسير بينهم ، واكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا · لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فاقبلكم (٢ كو ٦ : ١٦ ـ ١٧) ·

ولا شك ان هذا هو نفس الطريق الذى يجب ان تسلكه الكنيسة ـ اية كنيسة ـ تريد أن تستعيد حياتها الروحية ونشاطها المقدس لكى تلتهب بالروح ويظهر مجد الله فيها ·

الفداء والنصرة على الموت

(مز ٤٩)

فى هذا المزمور ينظر المرتل الى الفداء الذى يتجاوز الموت ويتخطاه ، بل ويغلبه فيندحر أمامه · وفى نطاق الأهداف العالمية والطموحات البشرية يقارن بين نصيب الأشرار ومصير الأبرار ويؤكد على الأمن والطمأنينة التى يتمتع بهما الأنسان الذى وضع كل ثقته فى الله ، لا فى مجرد الثروة أو النجاح الموقوت ـ الى حين·

ولكن هذه النظرة تثبت فى مقابل حقيقة الموت الرهيبة · ففى موقف الموت تصبح قوة عظماء هذا العالم عديمة الجدوى ، خواء من كل نفع ، تماما مثل قوة أى أنسان آخر ، فلا يستطيعون جميعا ان يفتدوا حياة أخيهم من الموت ، بل وتقصر كل ثروة غناهم عن أن تكون فدية له من القبر ، من أجل خلاصه ·

وعجز مصادر الانسان وأمكانياته يلح عليها المرتل لكى يبرز من ناحية أخرى ـ بالمقارنة ـ قوة وأمكانية الفداء الالهى ، ففداء النفس البشرية فداء ثمين وكريم ، وكريمة هى فدية نفوسهم فغلقت الى الدهر (مز ٤٩ : ٨) · أن نفقة هذا الفداء نفقة فادحة لا قبل للانسان المجرد أن يحاول مجرد المحاولة لدفعها ، فمثل هذه المحاولة لا تتجاوز دائرة العبث ، لاغناء فيها ولاطائل تحتها ·

ولكن الجانب الاخر من المقارنة يستهله بهذه الكلمات « انما الله » ومع دخول الله الى موقع الأحداث يتحول ما كان عقيما ومستحيلا الى الممكن والمحتمل ، انما الله يفدى نفسى من الهاوية لانه يأخذنى (مز ٤٩ : ١٥) ليس من السهل أن ندرك أو نقرر المدى الذى يمكنا أن نفهمه من هذا الفداء من الهاوية ما لم نضع فى هذا الأطار تلك العقيدة المسيحية التى تتعلق بحياة النفس بعد الموت ، وقيامة الجسد ، ففى أقل التقديرات لابد وأن يعنى هذا الفداء شيئا يزيد على الأيمان بأن الله ـ بفضل فدائه ـ سيحفظ الانسان من الموت بغتة ، قبل تمام نضوجه · ففى هذا المضمون ـ الفداء ـ ترى ما يشير الى انقلاب فى القيمة الانسانية بعد الموت ، انسان الله وانسان العالم ، ففداء الله للأنسان من سطوة هذا العالم أو قبضة الموت فى العالم السفلى ، انما يعنى حل قبضة الموت وفكها ، وهكذا نجد أن المعنى يتضح بالأكثر بالعبارة التى تعقب ذلك « لانه يأخذنى » ، ونفس هذه الكلمة هى التى استخدمت فى سفر التكوين فى الكلام عن حادثة اخنوخ (تك ٥ : ٢٤) كما استخدمها صاحب المزامير ، آساف ·

+ ولكنى دائما معك ، أمسكت بيدى اليمنى ، برأيك تهدينى ، وبعد الى مجد تأخذنى (مز ٧٣ : ٢٣ ـ ٢٤) ·

انها تعبر عن ملء الثقة واليقين اذ نؤمن أن قوة الله المخلصة سوف تهزم الموت وتقضى عليه قضاء نهائيا · وترجع هذه الثقة الى الحقيقة الراسخة أن النفس المفدية صارت خاصة لله سواء فى الحياة أو الموت ، وانه لا الموت ولا القبر يستطيع ان يزعم لنفسه قدرة على حل هذا الارتباط ·

+ اما أنا فقد علمت ان ولىى حى ، والاخر على الارض يقوم · وبعد أن يفنى جلدى هذا ، وبدون جسدى أرى الله · الذى أراه أنا لنفسى ، وعيناى تنظران وليس آخر · الى ذاك تتوق كليتاى فى جوفى (اى ١٩ : ٢٥ ـ ٢٧) ·

مثل هذا التأكيد كفيل بان يسبغ معنى جديدا لحياتنا فى هذا العصر · وهكذا يشكل عمل الفداء الالهى أساسا قويا للأيمان بحياة النفس بعد الموت وقيامة الاجساد · وهذا هو رجاء الأيمان أن يكون لنـا نصيب فى ميراث القديسين لاننـا لهذا قد تم اختيارنا فى المسيح للتبنى والميراث الذى لا يضمحل·

+ لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين ، فالقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح · وان كنتم تدعون أبا الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحـد فسـيروا زمان غربتكم بخوف · عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى ·· بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم ·· انتم الذين به تؤمنون بالله الذى أقامه من الأموات واعطاه مجـدا حتى أن ايمانكم ورجاءكم هما فى الله · (ابط ١ : ١٣ ـ ٢١) ·

+ ·· بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا ـ لاننا بالرجاء خلصنا (رو ٨ : ٢٣ ـ ٢٤) ·

+ (الرب يسوع المسيح) الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسـد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء (فى ٣ : ٢١) ·

الألم والمعاناه
فى العهد القديم

الألم والمعاناه
فى العهد القديم

لا عرفة وقوة قيامته وشركة الامة متشبها بموته (فى ٣ : ١٠) ٠

لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب ٠ لانه لا معين ٠

كالماء انسكبت ٠ انفصلت كل عظامى ٠ صار قلبى كالشمع ٠ قد ذاب فى وسط امعائى ٠ يبست مثل شقفة قوتى ٠ ولصق لسانى بحنكى والى تراب الموت تضعنى ٠
(مز ٢٢ : ١١ و ١٤ ـ ٢٥) ٠

لقد كانت مشكلة الألم مثارا للحيرة والقلق لدى شعب العهد القديم ، ومازالت تبدو لغزا يحير الأفهام وتتضارب فيه الأقوال بين المفكرين والفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع فى عصرنا الحاضر ٠ ويشتد الغموض وتحار فيه العقول بصفة خاصة أذا نظر الى هذا الألم على أنه ليس نتيجة سبب معقول أو مقبول ، بل يبدو لأول وهلة أنه من آثار قدر أعمى ٠ الا انه من الواضح فى العهد القديم ان الألم كثيرا ما يجاوز الاختبار الشخصى ، وقد يحدث أن يكون هذا الالم نيابيا فالأبرار والصديقين قد تثير حياتهم النقية الطاهرة حفيظة الأشرار وعداوتهم ، وتتقمص دعوتهم الهدف الفدائى لاله اسرائيل ، فيشعرون فى غالب الأحيان أن هناك قوة لا تقهر تجذبهم بعنف الى أعماق الألم والمعاناة فيتعاطفون مع رجل الأوجاع ومختبر الحزن العتيد أن يأتى ٠ ومع أن الامهم وعباراتهم الحزينة

المرة قد تشير للوهلة الأولى الى ظروفهم الخاصة ، الا أننا نفاجأ باتجاهها الى ظروف وأحوال أخرى لاصلة لها بواقع حياتهم · وهذا ما يدعى فى العهد الجديد بشركة الامة (فى ٣ : ١٠) ·

العَبْد المتألم

(مز ٢٢)

جرت العادة أن يطلق على هذا المزمور لقب مزمور التنهدات· ومع ان الكثير من وقائع هذا المزمور قد تمت بصلة الى حياة وخبرة صاحب المزمور ، الا أن هناك من التفاصيل ما لا يمكن أن يدخل فى هذا النطاق مثل : لانه قد أحاطت بى كلاب · جماعة من الأشرار اكتنفتنى ثقبوا يدى ورجلى · أحصى كل عظامى ، وهم ينظرون ويتفرسون فى (مز ٢٢ : ١٦ ــ ١٧) · ومن أجل هذا ، ولأسباب أخرى أعتبر صيغة نبوية وصار تطبيقه ، فى أوسع معناه على رجل الاوجاع والاحزان فى تاريخ الانبياء ، مسيا اسرائيل · وأذا أخذناه على أنه تعبير عن الالم الشخصى فى نظر المتألم نفسه ، فيظل له قيمته الأدبية الرائعة بين نصوص العهد القديم ، فهو لا يتحدث عن الالم فى صورة عامة ، ولكنه يصف الالام التى يعانيها شخص بذاته يئن وفى أنينه يعبر عن المه الشخصى · لاحظ معى مثـــار حزنه وألمـــه ·

١ ــ الوحـــدة والتغرب :

+ الهى الهى لماذا تركتنى بعيدا عن خلاصى ، عن كلام زفيرى ، الهى فى النهار أدعو فلا تستجيب · فى الليل أدعو فلا هدوء لى (مز ٢٢ : ١ و ٢) ·

شعوره القاطع أنه وحيد فى حزنه ـ بلا عزاء ـ يزيد من حدة معاناته ، فاحتجاب الله عنه ورفضه الجواب على صراخه وأنينه من أشد عناصر الألم وقعا وتأثيرا · وترتل الكنيسة هذا المزمور فى جمعه الالام وترديده بأنغام الحزن والأسى حتى تعبر عن موقف الرب فى الساعة التاسعة : صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شبقتنى الذى تفسيره الهى الهى لماذا تركتنى (مر ١٥ : ٣٤)·

٢ ـ الاحساس بالضعة والمذلة :

+ أما أنا فدودة لا أنسان ، عار عند البشر ومحتقر الشعب · كل الذين يروننى يستهزئون بى · يفغرون الشفاة وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه لينقذه لانه سر به (مز ٢٢ : ٦ ـ ٨) ·

فى احساسه العميق بوحدته شعر أنه منبوذ من جميع الناس ، مجرد دودة لا قيمة لها يمكن ان يطأها أى أحد دون ان يعيرها اى التفات ، هدفا للتندر والسخرية من كل عابر سبيل ، ويهزأون بالأولى من ثقته فى الله ، ألم تكن هذه بالنص هى التعبيرات التى وجهها اليهود للمسيح على الصليب ·

+ (قالوا) خلص آخرين واما نفسه فما يقدر أن يخلصها ، ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به · قد اتكل على الله فلينقذه الان ان أراده لأنه قال انا ابن الله (مت ٢٧ : ٤٢ ـ ٤٣) ·

٣ ـ اعلان خزيه ، والتشهير به :

+ أحاطت بى ثيران كثيرة ، أقوياء باشان اكتنفتنى · فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر ، كالماء انسكبت · انفصلت كل عظامى ، صار قلبى كالشمع · قد ذاب فى وسط امعائى ·

يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى والى تراب الموت تضعنى · لانه قد أحاطت بى كلاب · جماعة من الأشرار اكتنفتنى · ثقبوا يدى ورجلى أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فى · يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون (مز ٢٢ : ١٢ ـ ١٨) ·

ان الأنسانية فى شقائها وعذابها تحاول الاستخفاء والبعد عن العيون المتطفلة ، حتى تحفظ شيئا من ماء الوجه ، وحتى تنطوى على الامها تجترها فى سكون ، وهذا لا يتاح للانسان أو الحيوان الا بالموت · ولكن هذا الانسان مطالب أن يتألم ويموت وقد سلطت عليه الأضواء أمام الشعب كله · وتصل المأساة قمتها التى لا تحتمل فى العدد ١٧ : أحصى كل عظامى ، ويشرح كيف صار نهبا للعيون التى تقتحمه بسخرية وازدراء : وهم ينظرون ويتفرسون فى ·

٤ ـ لجة الآلام وعنفها :

+ لانه احاطت بى كلاب · جماعة من الاشرار اكتنفتنى · ثقبوا يدى ورجلى (مز ٢٢ : ١٦) ·

حتى جسده لم ينج فى ساعة الضيق والشدة ، ثقبوا يديه ورجليه أو بالحرى مزقوهما ·· ومع ذلك فهذه الآلام آلام نيابية وفدائية لانها تقود الشعب مرة أخرى الى الله ، فيمتد ملكوته ، وتعلن أحكام بره وعدله ، ويعلن قضاء الله المستقيم للأجيال القادمة ·

+ اخبر بأسمك أخوتى فى وسط الجماعة اسبحك ·· تذكر وترجع الى الرب كل اقاصى الارض وتسجد قدامك كل قبائل الامم ·· يخبر عن الرب الجيل الآتى ·· يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل (مز ٢٢ : ٢٢ ـ ٣١) ·

امام هذا المزمور ، وأمام هذه الاقوال بالذات لا يسعنا الا أن نشعر أن ربنا يسوع المسيح وحده هو النموذج الصادق لهذه

المعاناة الشخصية ، ولا شك أنه وجد أن هذا هو التعبير الذى يتكافأ مع آلامه ، مما جعله يستخدمها بنصها للافصاح عن مشاعره بينما كان معلقا على الصليب · والعبارة الاخيرة فى المزمور : انه قد فعل ، ربما تردد صداها فى صرخة المخلص : قد اكمل (يو ١٩ : ٣٠) مما يوحى بأن الرب كان يردد المزمور من أوله الى آخره ·

الألم والإيمان بالله

(مز ٦٩)

فى مزمور ٦٩ نجد مثالا آخر للالام التى تنسب الى داود ، ومع ذلك نلاحظ ـ كما هو الحال فى مزمور ٢٢ ـ أنها لا تمثل خبرات وحياة داود الخاصة ، ولهذا السبب تحال عباراته الى المتألم المثالى مما يجعل كلماته تتردد فى العديد من نصوص العهد الجديد مثل :

+ فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك اكلتنى (يو ٢ : ١٧) ·

+ لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم أبغضونى بلا سبب (يو ١٥ : ٢٥) ·

+ لانه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر (اع ١ : ٢٠) ·

+ وداود يقول تصر مائدتهم فخا وقنصا وعثرة ومجازاة لهم · لتظلم أعينهم كى لا يبصروا ولتحن ظهورهم فى كل حين (رو ١١ : ٩ ـ ١٠) ·

+ لأن المسيح أيضا لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت على (رو ١٥ : ٣) ·

ونستطيع أن نستخلص ملامح الآلام والمعاناة فى الصور الآتيـــة :

١ ـ **البرىء المظلوم** (مز ٦٩ : ١ ـ ٤) :

الصورة الشعرية هنا تصف الحزن الداخلى ، المياة والحمأة والسيل كلها تعبر عن تجربة مرة عانى فيها العقل والروح · الكراهية العامة التى صار هدفا لها لم يكن لها علة أو سبب ، أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلاسبب · وتحت ضغط الاتهام والتعيير أضطر الى رد ما لم يأخذه أو يخطفه ·

٢ ـ **معـــاناة البـــار** (مز ٦٩ : ٦ ـ ١٢) :

بينما يشغف البار بنجاة اصدقائه من الآلام والضيقات التى يعانيها ، والتى يحتملها هـو برضى حتى يكون أمينـا لله ، الا أنه لا يغيب عن وعيه أن بره وصلاحه هما سبب سخريتهم منه ، حتى صار كالأجنبى عند أخوته ، وغريبا عنـد بنى أمه ، صـار بكاؤه وصومه سببا لان يكون فريسة للنقد الظالم ، وبالتالى عارا له فى أنظـار المحيطين به · صـار مضغة فى الأفواه يتندرون بـه فى أحاديثهم ، وفى جلسات السكر والعربدة · أصدقاؤه هجروه أما أعداؤه فقد أشاعوا وحشيتهم فى تعبيراتهم الجارحة ·

٣ ـ **حساسية مرهفة** (مز ٦٩ : ١١ ـ ٢١) :

لقد انهالت الأهانات والشـتائم عليه فأخذ الحزن بمجـامع قلبه · فى سخريتهم صـار امثولة للهزء ، وفى احتقارهم اتخذوا منه مادة التسلية فى مجالس الشراب حتى بلغ منه الخجل غورا بعيدا : العار قد كسر قلبى فمرضت · انتظرت رقة فلم تكن ، ومعزين فلم اجد (مز ٦٩ : ٢٠) ·

ولكن من خلال هذه الحال المقبض ، يرى الأيمان حصـادا رائعا (مز ٦٩ : ٣٠ ـ ٣٦) وهنا نرى التركيز على المستقبل

كما يراه الايمان : الحق يتعاظم ويتجلى ، وخلاص الرب يستعلن للجميع وروح العبادة تنتعش وتزدهر ، وقد يطالعنا داود فى هذه الصورة من التجارب ، كما نرى المسيح ، ولكن الواقع أن المزمور ـ ككل ـ لا يمكن تطبيقه على حياة داود تاريخيا كما أن ليس جميع آيات المزمور يمكن ان تتطابق مع آلام المخلص ولكن هذه الأشارات السابقة التى تشير الى آلام المخلص قد تجسدت حقا فى روايات الانجيل عن الصليب بحيث لا يمكنا الا أن نعترف بأن روح النبوة الذى انسكب على داود هو الذى تلقاها وهو الذى نقلها وعبر عنها ٠

أيوبُ وَحيَـاة الآلام

(أى ٢٩ ر٣٠)

فى دراستنا لشخصية أيوب ، نرى صورة الالام والتجارب فى مقابل الحياة السابقة لأيوب التى ينعم فيها بالقوة والنجاح ٠ وتظل ذكريات المجد والعظمة فى أيامه الغابرة حية فى ذاكرة أيوب ٠ راحته وعزاؤه فى تدينه وفى أسرته ، والكرامة والاحترام التى كان يؤديها له الرجال النبلاء ، وأعمال البر والصلاح التى أمكنه ان يقدمها للمتألمين والمتضايقين عندما كانت وسائلها فى متناول يده ٠

وفى ضوء كل هذا ، يراجـع ويتأمل شـقاءه الماثل أمامه ، ويشعر بلذعات الالم والضيق وتنتابه الالام التى تنصب عليه من ثلاثة جهات :

١ ـ من الخـــــارج (اى ٣٠ : ١ ـ ١٥) :

لقد أتته مذمته من الناس الذين كان يصادقهم ويمد لهم يد المعونة ، أناس بلا أسم ولا كرامة لم يمسكوا عن البصق أمام وجهه ، صار هدفا للخمز واللمز والاحتقار صرت اغنيتهم واصبحت لهم

مثلا (اى ٣٠ : ٩) ولكى تزداد آلامه مرارة أن هذه المعاملة الشائنة انهالت عليه وجرحته أيام المذلة بعد ان أقعدته علل الجسد ، وأحاطت به النوازل والكوارث · هذا الوقت الذى كان احوج ما يحتاج اليه هو الاشفاق والعزاء ·

٢ ـ **من الداخل** (اى ٣٠ : ١٦ ـ ١٨ و ٣٠) :

+ فالان انهالت نفسى على ، وأخذتنى أيام المذلة ، الليل ينخر عظامى فى وعارفى لا تهجع · بكثرة الشدة تنكر لبسى مثل جيب قميصى خرمتنى · حرش جلدى على وعظامى احترت من الحرارة فى (اى ٣٠ : ١٦ ـ ١٨ و ٣٠) ·

ان انسكاب نفسه فى داخله تعبير عن الألم الدفين فى داخله ـ اما بقية الآيات فتعبر عن آلامه الجسدية التى لم يجد معها علاج أو دواء ، فهى تقض مضجعه ، ولا تتذوق عيناه طعم النعاس الهادىء جلده وعظامه وما يسرى فيهما من آلام مبرحة كانت تثير أعصابه وضيقه وتبرمه ·

٣ ـ **من فوق** (اى ٣٠ : ١٩ ـ ٢٣) :

استطاع أيوب أن يحس بأن يد الرب فى كل ما يحدث له ، فهو الله ـ ولا أحد سواه ـ الذى : طرحنى فى الوحل فأشبهت التراب والرماد · وهو الذى يصرخ اليه فلا يستجيب ، وينفجر فى سورة ألمه وضيقه يصرخ نحو الله · تحولت الى جاف من نحوى بقدرة يدك تضطهدنى · حتى الموت داعب خيال أيوب وتمناه ، ولكنه لم يأت اليه · ومع ان الواضح ان الله قد عهد الى أيوب خدمة الالم لانه أحبه ووضع ثقته فيه ، الا أن هناك أعماق يصعب علينا أن نسبر غورها ونستجلى كوامنها ، ولكن من الصعب أن نتحاشى عقد مقارنة بين طبيعة الام أيوب وعمقها وبين آلام المخلص الصالح · والرواية التاريخية للجلجثة تحمل فى طياتها ـ فى الواقع ـ نقاطا

موازية صريحة وصارخة فقد وضع الرب نصب عينيه أن كل تصرفات خصومه تمت بالموافقة الالهية ٠

+ اجاب يسوع لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن قد اعطيت من فوق (يو ١٩ : ١١)

ولابد لنا ان نتأمل الام المخلص فى مقابل تلك الخلفية التى جعلت من تجربة أيوب مأساة حزينة ، فقد صاغ بولس الرسول هذه المقارنة فى وصفه لعمل الرب قائلا : فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره (٢ كو ٨ : ٩) ٠

أرميا تحت الآلام

(أر١١ : ١٨-٢٣ و٢٠ : ١-١٨)

يعلن هنا ارميا النبى عن الأجر الذى فرض عليه أن يدفعه ثمنا لولائه وأخلاصه لله ولم يكن هذا الثمن سوى الالام والشدائد ٠٠ ومن هذه الزاوية نرى شركته فى الالام مع رجل الاوجاع ومختبر الحزن الذى دارت حوله النبوات ٠

ويشدد أرميا اللوم على أخوته الذين كانوا ينتمون الى بيت أبياثار الكاهن لانهم لم يكونوا أوفياء لوصية الله ، ثم يتوعدهم بالويلات بسبب انغماسهم فى عبادة الأوثان ٠٠ لقد وصلوا فى حالتهم الروحية درجة من الانحطاط جعلت الله يطلب اليه : وأنت فلاتصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة لانى لا أسمع فى وقت صراخهم الى من قبل بليتهم (أر ١١ : ١٤) لقد اعلن الله دينونته عليهم وبناء على أمره اشعل الكلدانيون نيرانَ الخراب والدمار ٠

وردا على أمانته فى الكشف عن خطاياهم وأعلان دينونة الله الصارمة ، يكتشف ارميا أن هناك مؤامرة يدبرها أخوته الكهنة من رجال عناثوت ـ ضده : ولم اعلم انهم فكروا على أفكارا قائلين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الاحياء فلا يذكر بعد أسمه (ار ١١ : ١٩) لقد كان هدفهم القضاء عليه تماما · وما كان لهم ان يرضوا بأقل من سفك دمه ·

ولكن الله خيب آمالهم وكشف للنبى الخطر الذى يتهدده ، وأدرك النبى أنه كان كخروف داجن يساق الىالذبح (ار ١١ : ١٨ ـ ١٩) فيرفع النبى شكواه الى الله ليقضى فيها ببره وعدله ، وينتقم منهم لأنه لم يكن راغبا أو مستعدا أن يأخذ على عاتقه مهمة الانتقام ، وفعلا أعلن الرب قضاءه على أهل عناثوت بالهلاك سواء كان بالسيف أو الجوع ·

+ لذلك هكذا قال رب الجنود ها أنذا أعاقبهم يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع · ولا تكون لهم بقية لأنى اجلب شرا على اهل عثانوت سنة عقابهم (ار ١١ : ١٢ـ٢٣)

وفى الاصحاح العشرين يقع أرميا فريسة سائغة فى يدى طبقة الكهنة ، فيجلده فشحور ويجعله فى المقطرة أى يلقى به فى غياهب السجن حتى الغد ، ولكن هذا التعذيب ، والاذلال لم يمنع أرميا من أتمام رسالته وأعلان قضاء الله على فشحور بالموت وهو فى الاسر فى بابل · بل والاكثر من ذلك كل حصون وقلاع أورشليم ستندك الى الارض ، وتسلب كل كنوز ملوك يهوذا بل وثروة المدينة وكل تعبها وكل ما له قيمة وثمن يدفع الى أيدى أعدائهم · لم يكن رجل الله انتهازيا أو مغرضا بل كلمة الرب كانت فى فمه ·

+ ··**الحق اقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض** (مت ٢٤ : ٢) ·

لم يكن الثمن الذى دفعه ارميا عن ولائه واخلاصه لحق الله

هو التعذيب الجسدى فقط ، لقد كان بالاحرى لجة من الضيق والأحباط الذى يخيم حول الخادم الأمين ٠

+ **قد اقنعتنى يارب فاقتنعت ، والححت على فغلبت ، صرت للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بى لانى كلما تكلمت صرخت :** ظلم واغتصاب : لان كلمة الرب صارت لى للعار وللسخرية كل النهار ٠ فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه ، فكان فى قلبى كنار محرقة محصورة فى عظامى ، فملت من الأمساك ولم استطع (ار ٢٠ : ٧ ـ ٩) ٠

ويبدو أن أرميا قد جرب بالظن أن الله لم يعد يحميه ، فالله لم يكتف بالأمر بل أقنعه فاقتنع وألح عليه واضطر أرميا أن يستجيب تحت ضغط الالحاح ، ولم يجد عزاء أو سندا يعضده ، فاعتزم أن يخلد الى الصمت ، ولكن روح النبوة كانت تلتهب فى داخله ، ولم يستطع أرميا ان يكبح جماح هذه القوة الغلابة ، ولكنه فى خضوع يستسلم لله ويضع رجاءه فى أمانة الله ٠

ان التجربة التى حلت بأرميا أنما تعلن عن الالام التى ستحل بالشاهد الامين ٠ وعندما تقرأ الكنيسة لنا هذه النبوات فهى تسلط الضوء على آلام المخلص الشاهد الامين (رؤ ١ : ٥) وآلام كل الذين يحتملون الالام من أجل البر ٠

+ **طوبى للمطرودين من أجل البر ٠ لان لهم ملكوت السموات** (مت ٥ : ١٠) ٠

+ **ولكن وان تألمتم من أجل البر فطوباكم ٠ وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا** (ابط ٣ : ١٤) ٠

لقد صارت الام الصليب علامة مميزة ليس فقط فى حياة الرب يسوع وعمل الفداء ، بل سمة من سمات المسيحية ٠ وكما يقول الكتاب وهب لكم لا أن تؤمنوا فقط بل ان تتألوا ايضا ، وفى العالم سيكون لكم ضيق وضريبة الأيمان بالمسيح هى احتمال الآلام ٠

الفداء العظيم
في الكتاب المقدس

الفداء العظيم
فى الكتاب المقدّس

وظيفة الألم

(اش ٥٠ : ٤ - ٩)

هذه هى الفقرة الثالثة من نبوات أشعياء النبى عن العبد المتألم ، الأولى فى أش ٤٢ : ١ وما بعده ، والثانية فى اش ٤٩ : ١ وما بعده · ولا يوجد سوى شخص واحد يمكن ان تنطبق عليه هذه النبوات ، حتى وأن تجاوزها وتعالى عليها · وهذا الشخص ليس كورش ملك فارس ، الذى لقب بمسيح الرب ولكنه الرب يسوع المسيح · فخدمة المصالحة التى أخذها الرب على عاتقه طاعة لمشيئة الأب القدوس كانت تتطلب الالم ، وفى المسيح مخلصنا - سواء فى الذبيحة أم المثال والنموذج أو الوعد - فتكتمل رؤية الألم كاملة ، حتى لا يسعنا ونحن نقرأ هذه الفقرة الا أن نتعرف عليه ونصيح : هو الرب ·· ومن هذه الفقرة ندرك أنه قد سبق فتعين للصليب واحتمال الالام ، وليس ذلك فقط ولكن وهب له وأعد من أجل هذه الخدمة - خدمة الالم · بالنسبة له كان الألم وظيفة دعوته ، وكأن معلمه هو الاب السماوى ·

ولابد لنا أن نلاحظ أن المسيح يتميز بحساسية خاصة بالنسبة للالم زودته بالقدرة على تعزية المتعبين وتثقيلى الأحمال وتعليمهم ·· ومن أجل هذا كان لابد أن يحيا فى شركة دائمة مع عقل ومشيئة الله ·

+ **أعطانى السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيى بكلمة** (اش ٥٠ : ٤) ٠

+ **والذى أرسلنى هو معى ٠ ولم يتركنى الأب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه** (يو ٨ : ٢٩) ٠

ولقد تجلت فى الرب روح الطاعة الفورية ، التى أبت أن تستسلم للخوف أو تستجيب للثورة والتمرد حتى عندما انكشفت أمامه ضروب الالام والأوجاع التى كانت فى انتظاره ٠

كانت فيه روح الوداعة التى أدت به الى مواجهة ألوان التعذيب الجسدى والمعنوى فى استسلام هادىء وخضوع كامل لمشيئة الاب ٠

+ **بذلت ظهرى للضاربين ، وخدى للناتفين ٠ وجهىلم استرعن العار والبصق** (أش ٥٠ : ٦) ٠

ولكنه كان يدرك تماما ويثق فى معونة الله ، لهذا توفرت فيه الشجاعة والأصرار على المضى فى طريقه الى المنتهى ، لقد ملأه اليقين أن اللهيسنده وبالتالى يبرر قضيته ويعلن بره ٠

+ **والسيد الرب يعيننى لذلك لا أخجل ٠ لذلك جعلت وجهى كالصوان وعرفت أنى لا أخزى** (اش ٥٠ : ٧) ٠

+ **وحين تمت الايام لارتفاعه ، ثبت وجهه لينطلق الى أورشليم** (لو ٩ : ٥١) ٠

ومهما تعاظمت هذه الالام واشتدت قسوتها ، فقد كان يعلم انه ليس لأحد سلطان عليه وليس فى مقدور احد أن يقهره أو يرده عن رسالته وخدمته ٠

+ **قريب هو الذى يبررنى ٠ من يخاصمنى ٠٠ من هو صاحب دعوى ليتقدم الى ٠ هوذا السيد الرب يعيننى ٠٠** (اش ٥٠ : ٨ وما بعده) ٠

كل هذه النصوص تكشف لنا عن حقيقة من الحقائق الهامة ، انها تبرز لنا العنصر الاختيارى فى آلام هذا العبد ، وقبوله الأرادى للسير فى طريق الصليب · لقد كان يعلم من البداية تفاصيل البرنامج الخاص بالفداء وما ينطوى عليه من تفاصيل رهيبة ومرعبة ، ولكنه ارتضى به لان هذه هى مشيئة الله أبيه ·

+ **الكأس التى أعطانى الاب الا أشربها** (يو ١٨ : ١١) ·

لقد قيل ـ وبحق ـ ان الانجليين سجلوا حياة مخلصنا الصالح كرواية تاريخية ولكن فى المزامير والنبوات نجد السيرة الذاتية لربنا يسوع المسيح وكأنه يكتب بنفسه نبضات حياته الداخلية من أجل عمل الخلاص لكل نفس ولكل من يؤمن به ·

الألم بالنيابة

(اش ٥٢ : ١٣ ـ ٥٣ : ١٢)

فى هذه المقطوعة الشعرية الرائعة ، يأخذنا جمال التعبير وروعة الصياغة ، فيحلق بنا الرائى فى آفاق الحزن العميق النبيل ، فلا يتمالك المرء الا استعادة القراءة ، وامعان التأمل ، هنا نرى ينابيع الخلاص وقد طفت الى السطح ، بعد أن كانت تجرى فى طيات العهد القديم كله تارة بالرمز وتارة فى التقدمات والذبائح · نكاد نسمع ذلك الصوت الفرح ·

+ **طوبى للشعب العارفين الهتاف ، يارب بنور وجهك يسلكون ، باسمك يبتهجون اليوم كله وبعد ذلك يرتفعون لانك أنت فخر قوتهم وبرضاك ينتصب قرننا** (مز ٨٩ : ١٥ ـ ١٧) ·

لسنا فى حاجة الى قراءة بين السطور ، لاننا نستطيع ان نرى ينبوع الخلاص لمغفرة الخطايا ماثلا امامنا كما رآه من قبل زكريا النبى ·

+ **فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة** (زك ١٣ : ١) ٠

أن الكاتب المرهف الحس يقتادنا بقوة لكى نعاين الالام النيابية ، أى التى يتحملها الواحد عن الآخرين ٠ وقد دعا هذا الكثيرين لكى يصفوا اش ٥٣ ـ وبحق ـ انه كنز الالام النبوى ٠

وعلينا الآن ان ندرس هذه المنظومة التى تصف عبد الله فى آلامه ، من ثلاثة أبعاد تقدم لنا ثلاثة تأكيدات مختلفة ٠

١ ـ يعرض الرب خطته ويعطينا موجزا عن عمل هذا العبد المختار الذى أحبه والذى سرت به نفسه ، وتكون هذه المقدمة لكل التفاصيل الباقية : هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا ٠ كما اندهش منك كثيرون ٠ كان منظره كذا مفسدا اكثر من الرجل وصورته اكثر من بنى آدم ٠ هكذا يفضح أمما كثيرين ٠ من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبعدوا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه (اش ٥٢ : ١٣ ـ ١٥) انه يستعرض الألم وألى جواره النصرة الآتية ، وسوف نرى أنه يدور على هذا الوتر اكثر من مرة فى هذه القصيدة ٠ فعبد الرب سوف ينجح فى المسئولية التى أخذها على عاتقه ، ولكن الكلمات لا تستطيع ان ترتقى الى كفاءة الفكرة الراقية التى تشير الى التدبير الحكيم منذ القدم ، بما يذكرنا بالزارع الذى يلقى بذاره فى الربيع وقلبه يفيض رجاء ذكيا بالمحصول الذى سيجمعه ويضمه اليه ٠

+ **الحق الحق اقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت ، فهى تبقى وحدها ولكن أن ماتت تأتى بثمر كثير** (يو ١٢ : ٢٤)

انها توحى لنا بصورة أرض الربيع الرطبة الباردة وقد استحالت موجا من الذهب يتهادى مع هبات الريح عند الحصاد ٠ وهنا يرتد بصرنا الى العبد المتألم الذى فسدت صورته وذوى منظره واذا به يتجلى فى بهاء جلاله وعظمة ملكه فيصبح موضع الدهشة

والذهول امام العالم كله · فيسد الملوك أفواههم لانهم لا يعرفون ما يمكن ان يقولوه ·

٢ ـ ثم يأتى بنا الى منظر الجحود والأنكار وعدم الأيمان (اش ٥٣ : ١ ـ ٣) ويعترف النبى هنا أن الرسالة التى يقوم بها المخلص المتألم تقابل بعدم التصديق والرفض ، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة : من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب (اش ٥٣ : ١) وأمام هذه العيون ، التى غاب عنها الايمان ، نبت (هذا المخلص) كفرخ ضعيف هزيل مصيره الهلاك والفناء ، أو كعرق من ارض يابسة ضربه الهزال والجفاف ويعانى سكرات الموت بالفعل · ولذلك فلا يكفى أن نقول أنه لا يتصف بشىء من الجاذبية : لا صورة له ولا مجال فننظر اليه ، ولا منظر فنشتهيه ولكنه ـ بالاضافة الى ذلك ـ محتقر ومنبوذ يبغضه الجميع ، ويرذلونه حتى أنهم يحولون عنه وجوههم : محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن ، وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به (اش ٥٣ : ٣) ·

٣ ـ ثم يعطينا الصورة الاخيرة لكى تكون شهادة الأيمان (اش ٥٣ : ٤ ـ ٩) فهنا الاعتراف بأنه حمل أحزاننا وأوجاعنا تحملها ، ولكن الناس نسبوا هذا الى عدالة الذى أوقع به هذا العقاب جزءا وفاقا لما ارتكب هو من الخطية : ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا (اش ٥٣ : ٤) ولكنا الان نعترف أنها كانت خطايانا وذنوبنا ومعاصينا ، التى وضعت عليه ، أما هو ، فهو : مجروح لاجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه ، وبحبره شفينا (اش ٥٣ : ٥) وفى هذا اعترافنا بما فينا من نقص وضعف واستحقاق لدينونة الله الرهيبة : كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه ، والرب وضع عليه أثم جميعنا (اش ٥٣ : ٦) واعترافنا هذا ليس مجرد اعتراف بالخطايا والاثام ، ولكنه اعتراف ايضا بعمل الله فى الفداء اذ وضع عليه

الرب اثم جميعنا ، فهو اقرار بما تحمله المخلص من ألم لايستحقه ولكنه حمله نيابة عنا · أخذ الذى لنا لكى يعطينا الذى له ، بره وقداسته ومجده ، وهنا تكمن مسئولية الانسان حين يقف أمام دعوة الله للغفران وتجديد العهد · ها نحن نتابعه فى طريق الالام حتى الصليب · نراه وقد أحدقت به المكاره والقساوة والظلم حتى يفطن المرء أن هذه هى نهايته : ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه · كشاة تساق الى الذبح ، وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه ·· وضرب من أجل ذنب شعبى ، وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته · على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش (اش ٥٣ : ٧ ــ ٩) وهكذا ذهب الوهم بأولئك المعذبين ان هذه هى النهاية ، فدبروا ورتبوا قبره كما رتبوا أمر اللصين الذين صلبا الى جواره ولكن هناك تدبير من فوق ، تدخل لكى يجعل قبره مع غنى : ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة أسمه يوسف · وطلب جسد يسوع (مت ٢٧ : ٥٧ ــ ٥٨) لقد حمل على كاهله عقوبة الخطية ، وبذل نفسه ذبيحة عن خطايا شعبه ·

ثم ينتقل بنا النبى الشاعر الى مشهد جديد ، حيث نرى الديان العادل ضابط الكل الذى يمتد سلطانه على الخليقة كلها ، لكى يعطينا الحقيقة الاخيرة فى هذه القضية ان الله الاب نفسه هو الذى سحقه بالحزن لانه حامل الخطية :

+ اما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن · ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح (اش ٥٣ : ١١)

وهذا ما يوحى لنا بان معظم الامة كان آلاما روحية بالاضافة الى أوجاع الجسد الا أن الديان العادل لابد وان يعمل على ان تكون المكافأة متناسبة مع ما تحمله من آلام ·· فبالأضافة الى أن عبد الرب البار يرى ويشبع من تعب نفسه · ويبرر كثيرين بمعرفته والتقابل معه ويحمل آثام التائبين والنادمين ، فان الاب ــ من جهته

ـ يقسم له بين الاعزاء ، ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه ، وأحصى مع اثمه ، وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين (اش ٥٣ : ١٢) ويعلق معلمنا بولس الرسول على هذا المشهد فيقول : اذ وجد فى الهيئة كانسان ، وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب • لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم • لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الأرض ، ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الاب (فى ٢ : ٨ ـ ١١) •

ولا يمكنا ـ فى الواقع ـ أن نذكر أو نجد تطبيقا لصورة هذه الالام ، الا فى آلام الرب يسوع سواء فى حياته أو فى موته • فان آلامه لا تقتصر على أسبوع الالام فقط ، ولكنها ـ فى حقيقة امر ـ تمتد الى حياته بالجسد كلها ، منذ أن أخلى نفسه وأخذ صورة عبد وولد فى الهيئة انسانا كاملا • ومن الناحية الاخرى ، فان تطبيق هذا النص على حياة مخلصنا الصالح يكشف عن مجد نصرته وغلبته على الموت والهاوية بقيامته المجيدة ، وجلوسه عن يمين الاب ليأخذ سلطانه على الخليقة والدينونة معا • هذه الصورة النبوية عن الام الرب ، صارت بالنسبة لنا ـ تاريخا لهذه الواقعة • الا أن الذاكرة الاجتماعية التى تتمثل فى خدمة الكنيسة المقدسة تضع امامنا هذه الوقائع ونبواتها لكى تضمنها خدمتها عن المسيح أن تصالحوا مع الله •

خدمة الخلاص
في تعليم المسيح وشهادته

خدمة الخلاص
فى تعليم المسيح
وشهادته

قال له يسوع انا هو الطريق والحق والحياة · ليس أحد يأتى الى الاب الا بى صدقونى أنى فى الاب والأب فى · والا فصدقونى لسبب الاعمال نفسها (يو ١٤ : ٦ و ١١) ·

* * *

من الحقائق الهامة التى نستشفها من الأنجيل المقدس ، أن الرب يسوع لم يشأ أن يكشف بوضوح ـ ومن الوهلة الأولى ـ عن طبيعة عمله الخلاصى حتى يكتمل · ومطالب هذا العمل الجوهرية هى الصليب والقيامة وحلول الروح القدس الذى القى ضوءا جديدا على خدمة الرب ورسالته ، بحيث تنكشف أمام عيوننا معالم طريق الخلاص · ومع ذلك فمهما وصلنا اليه من معلومات ومعارف عن هذا الموضوع من مصادر أخرى ، فلابد أن تستمد أصولها مما أعلنه المسيح عن ذاته فى الأناجيل ، ولهذا السبب فان الأناجيل الأربعة تعرض لنا فكر المسيح ، وبالتالى تصبح هى المصدر الرئيسى للمعرفة التى تتناول مهمته فى هذا العالم بحثا عن الانسان الضائع جادا فى أثر الخروف الضال لكى يخلصهما ·

العريس يُرفع

(لوه : ٣٣ ـ ٦ : ١١)

ان عمل الرب يستمد معناه وقوته من تعاليم المسيح نفسه ، وهذا الفصل له أهمية خاصة من حيث أنه يشير الى القطيعة النهائية

التى أخـذت مكانهـا بينه وبين الفريسيين كمـا تشـير الى بداية اتصاله بالجماهير وان كانت فى اطـار التغطية والخفـاء لحقيقة موته · فلا يوجد فى هذه الفقرة سوى التلميح الذى أفصح فيه عن ذلك لنيقوديوس (يو ٣ : ١٤) وفى التشبيه الذى استخدمه لم يسلط الضوء على تخليته لذاته بل حرمان التلاميذ من وجوده فى وسطهم لانه سيرفع عنهم ـ على الصليب ·

ومن الأهمية بمكان أن ندرك المعنى الذى يرمى اليه فى وصف أصدقاء العريس عندما يرفع عنهم ذلك العريس · والرب هنا يرد على الاتهام الموجه الى تلاميذه لانه تنقصهم حرارة الروح والتقوى، كما أنهم لا يتصفون بتلك العادات النسكية والتقشف التى عاش بها تلاميذ يوحنا وتلاميذ الفريسيين · وفى رده على هذا الاتهام استعار صورة حفلات الزفاف فى الشرق ، فقد كان من المعتاد ان يمكث أصدقاء العريس معه طوال أيام الفرح التى تمتد سبعة أيام · وفى نهاية الفترة يرحل العريس وتنفصم الرفقة ويذهب كل واحد الى حال سبيله ، وقد غاضت البسمة من على الوجوه ، لتحل محلها صرامة الحياة اليومية لتشد قسمات الوجوه ·

وفى تطبيق هذه الاستعارة على العلاقة القائمة بين المسيح وتلاميذه يشير المسيح الى نهايتها الفجائية عندما يؤخذ العريس منهم قسرا · وكلمة « يرفع عنهم » ، المستخدمة فى الاستعارة تشير فى الاصل اليونانى الى استخدام العنف والقسوة فى انهاء هذه الرفقة والشركة · وقد استخدم نفس هذا التعبير فى سياق رواية هذه الواقعة فى انجيلى معلمنـا متى ومعلمنـا مرقس · ولا يخامرنا الشك أن الرب كان يريد أن يعلن لتلاميـذه أن ارتباطه بتلاميذه سوف ينتهى فجأة وبعنف بموته على أيدى أعدائه ·

ويلى ذلك يعطينا الرب تعليما يحذرنا من حماقة الخلط بين اليهودية وأشكالها القديمة ، وروح الحياة الجديدة التى اعلنها المسيح مخلصنا (لو ٥ : ٣٦ ـ ٣٩) · وقد وصف هنا الخمر

القديمة ـ التى تشير الى الممارسات القديمة ـ بانها جيدة فى خلال العبارة العتيق أطيب ، هذه العبارة التى يرددها الرافضون للخمر الجديدة وهذا هو الجوهر فى مبدأ التحامل اى الحكم المسبق ٠

اما الحادثان الاخريان ، تصرف التلاميذ وهم يقطفون السنابل ويأكلون ـ وشفاء الرجل صاحب اليد اليابسة ، فهما يرتبطان بقضية خدمة الخلاص من حيث أنهما وسعا الهوة واضرما الخلاف بين الرب يسوع وبين الفريسيين حول حفظ السبت ٠ فقد حدثت كلتاهما فى السبت ، واعتبرها الفريسيون انتهاكا للسبت وتعديا على قدسيته ، وعجزوا عن رؤية روح الوصية هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص نفس أو اهلاكها ؟ وكانت نتيجة ذلك ان بيتوا نيتهم على التخلص منه بالموت ، لان هذا ـ فى نظرهم ـ أهون أمرا من أن يتحدى سلطانهم ، وأصبح هذا التصميم هو العامل المحرك وراء كل تصرفاتهم بالنسبة للرب ٠

انه لأمر له مغزاه وقيمته فى خدمة الرب فى هذه الفترة التى تلقب بربيع الجليل أن تظهر هذه السحابة القاتمة فى سمائه ، وفى ظلها الداكن تلك الاشارة البعيدة الى موته ومن هذا الوقت فصاعدا يمكنا ان نلحظ بسهولة أن هذه النهاية لا تغيب عن ذهنه قط ٠

خبز الحياة

(لو ٦ : ٣٥ ـ ٧١)

كان هذا الخطاب فى المجمع فى كفر ناحوم حيث كانوا يعرفون المسيح جيدا منذ بداية خدمته ، ويعلن هنا أمام جميع السامعين تلك الحقيقة التى وضعها نصب عينيه ٠ أنه لابد أن يموت لكى تنبت الحياة الجديدة من موته ٠

وقدم نفسه للسامعين على أنه خبز الحياة ، ربط ذلك بالمن الذى أعطى لبنى اسرائيل فى البرية ، وعقد المقارنة بين خبز الحياة والمن ، ولم يندهش اليهود من أوجه الشبه ، لكن الذى أقلقهم هو المقابلة التى أعلن فيها أنه يختلف عن المن لانه هو هو الخبز الحقيقى الذى من السماء (يو ٦ : ٣٢ و ٥٠) ٠

+ **فقال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء** (يو ٦ : ٣٢) ٠

+ **هذا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت ، أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ٠ ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد ٠ والخبز الذى أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم** (يو ٦ : ٥٠ ــ ٥١)
ولاحظ الرب وقع كلماته على الفريسيين الذين استاءوا من هذه المعانى فاشتعل غضبهم ، ولكنه واصل حديثة بحيث يؤكد المطابقة على ذاته من حيث هو مصدر وأصل القيامة أو الحياة الابدية ٠ وان تحقيقها يتم على يديه :

+ **لا يقدر أحد أن يقبل الى ان لم يجتذبه الأب الذى ارسلنى ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ٠ انه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله ٠ فكل من سمع من الاب وتعلم يقبل الى ٠ ليس أن أحدا رأى الاب الا الذى من الله ٠ هذا قد رأى الاب ٠ الحق الحق اقول لكم من يؤمن بى فله حياة ابدية أنا هو خبز الحياة** (يو ٦ : ٤٤ ــ ٤٨) ٠
وقد ازداد حقدهم عندما أشار الرب الى أن الحياة الالهية فيه أصبحت فى متناول الجميع ولكن فقط عندما يموت ٠

+ **لان جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق ٠ من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه** (يو ٦ : ٥٥ ــ ٥٦) ٠

فهو يبوح بسر صليبه وموته فى ظل الحديث عن جسده ودمه اذ يقدمهما ليكونا طعاما روحيا لكل الذين يؤمنون به ، بينما يصرح فى نفس الوقت أن الحياة ـ الناشئة عن موته ـ سوف تتاح للعالم بأجمعه ٠

+ **انا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ٠ ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم** (يو ٦ : ٥١) ٠

والرب ـ بذلك ـ يعلن أن هذا سيحدث فى المستقبل ـ ومعنى ذلك أن موته العتيد أن يكون قريبا ، سوف يجعله قريبا من جميع الناس ٠

واحتد الخلاف بين اليهود بعضهم مع بعض ، واحتدم الجدل حتى بين تابعيه حول جسده كيف يأكلونه ٠ لم يكن هذا الحديث مستساغا للعقل أو مقبولا بالطبيعة ، ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه (يو ٦ : ٦٦) ونتيجة لذلك ، التفت الرب الى تلاميذه الاثنى عشر ، تابعيه المقربين ، وطالعهم بهذا التحدى : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا (يو ٦ : ٦٧) وهنا يبرز القديس بطرس يجيب بلسان الجميع ويقدم الولاء والوفاء للرب يسوع من حيث هو المسيا ، الذى يهب الحياة الأبدية : يارب الى من نذهب ٠ كلام الحياة الأبدية عندك ، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى (يو ٦ : ٦٨ ـ ٦٩) ولأول مرة يكشف المخلص فى اجابته ما لم يكن متوقعا ، أنه يعرف تماما جميع الوقائع التى ستصل الى قمتها فى موته ، وأن واحدا منهم سوف يرتد عن الطريق ويصير خائنا ٠

وبهذا الأعلان وضع الرب نفسه ، عن وعى ومعرفة ـ فى قلب الأحداث التى ستتطور الى مداها فى الصليب ٠ ومن الواضح الجلى هنا أن موته لم يكن قدرا خفيا ـ كما هو الحال مع سائر

البشر ـ بل لقد كانت له اليد الطولى ، والأرادة الذاتية فى هذا العمـل ٠

+ لهذا يحبنى الأب لانى أضع نفسى لآخذها ، ليس أحد يأخذها منى بل أضـعها أنا من ذاتى ٠ لى سلطـان أن أضـعها ولى سلطان أن آخذها ايضا ٠٠٠ (يو ١٠ : ١٧ ـ ١٨) ٠

لا شك أن الرب كان له كامل السلطان على البرنامج ، الذى أخذ يفشيه ويفصح عنه من حين الى آخر ، لقـد كان هـذا هو التدبير الأزلى أن يعلن الأب ذاته فى الابن ٠ ويستوفى دينونته على جميع فجور الناس وخطاياهم فى شخص المسيح ، وفى شخص المسيح تتحقق عدالة الله الديان العادل ، وبالتالى يمد عهد المحبة الى كل الذين يؤمنون أن المسيح حمل عنهم خطاياهم وقدم نفسه ذبيحة محرقة رائحة رضى أمـام الأب ٠ وباستحقاق دم المسـيح نستطيع نحن أن ندخل الى السموات الى الاقداس التى أعد طريقها بذبيحة نفسـه ٠

فى طـريق قيصـرية فيلبى

(مر ٨ : ٢٧ ـ ٩ : ١ و ٣٠ ـ ٣٢)

ان اعتراف معلمنـا بطرس أثنـاء الرحلة الى قرى قيصرية فيلبس : أنت المسيح (مر ٨ : ٢٩) يحتل مكانا هاما من حياة الرب بالجسد على الأرض ٠ وتزداد أهمية هذه الشهادة عنـدما تكون الخلفية التى تدعم اكتمال أعلان الرب عن آلامه وموته وقيامتـه والتصريح بها علنا ٠ وقبل ذلك فقد تجنب الرب أى تصريح علنى ، حتى لا يعجل أو يتعجل أصدقاءه وأعداءه على السواء فى اتخـاذ مواقفهم والتصرف ، وان اختلفت اتجاهاتهم ٠

وعندما انتهر بطرس المعلم لأنه صرح بأن ابن الأنسان ينبغى ان يتألم كثيرا ويرفض ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم ، فان هذا يبين الى أى مدى كانت هذه الحقيقة بعيدة عن أدراك التلاميذ ولم يخطر ببالهم مدلول هذا البرنامج من الآلام والرفض والموت ، الذى كان الرب مقبلا على تنفيذه اما تباطؤ بطرس فى قبول هذه الحقيقة فقد نسبه المسيح الى تأثير الشيطان الذى قد يفضل طريقا أسهل ، وبذلك يخنق عمل الخلاص من حيث هو هدف الله وغايته · وقد عرض الشيطان فعلا هذا الاقتراح على جبل التجربة ، لك اعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه الى قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد · فان سجدت امامى يكون لك الجميع (لو ٤ : ٥ ــ ٨) ·

ومظاهر الرفض والموت أمام تلاميذه ــ وأمامنا كذلك ــ كانت تعنى بالنسبة للمسيح ما ينطوى عليه ذلك من انكار للذات ، واحتمال الالام ، وحمل الصليب · وصليب المسيح ــ فى حقيقة الأمر ــ سلط الضوء على ناموس الحياة الروحية · فى بذل النفس والحياة فقط تتحقق الحياة والوجود فى أجلى بيان · فأن من أراد ان يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الانجيل فهو يخلصها (مر ٨ : ٣٥) وبالنسبة لتلاميذه بصفة خاصة فأن جحد الطموح الشخصى ، وأنكار الذات ــ مهما كانت التكاليف ــ فانها ثمن التلمذة الحقيقية ·

كان الأعلان الثانى عن شخص المسيح وطبيعته وعمله أن ملكوت الله سيأتى بقوة بعد ستة أيام من الحديث السابق ، وكان لثلاثة فقط من تلاميذه · فقد أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد معهم جبل التجلى · وفى خبرة هؤلاء التلاميذ كان ذلك نموذجا فريدا لملكوت الله ــ المملكة الروحية التى طالما أشار اليها الرب يسوع باعتبارها الحقيقة الروحية العظمى فيما وراء هذا الوجود الحاضر الموقوت ، ولكنه هوذا الان يقتحم هذا الوجود · وهناك فوق الجبل تمزقت الحجب التى تفصل بين المنظور وغير المنظور ،

وظهر على الساحة أبطال كنيسة العهد القديم يتمثلون فى موسى وايليا وكانا يتكلمان مع يسوع عن موته فى أورشليم · ولا غرو أذا كان هذا الحديث موضع الاهتمام البالغ سواء فى السماء أو على الارض (لو ٩ : ٣١) ·

ويعنينا فى هذه الدراسة أن نتأمل حقيقتين : الأولى أن أذهان التلاميذ كانت أبعد ما يكون عن التجاوب مع تعليم المسيح الذى يعدهم لقبول الصليب والقيامة · ولا يغيب عن بالنا هنا أن البعض كانت تطوف به الاوهام عن الملك الزمنى والمراكز والسلطات ·· الخ بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين صورة الضعف والمذلة التى عاشها الرب يسوع فى وداعه الشاة تساق الى الذبح ، ومثل الحمل مقودا امام جازيه ، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفى · أما الحقيقة الثانية فهى أن الرب يسوع كان يرى بوضوح تفاصيل البرنامج وما يتضمنه من وقائع وأحداث يقف فيها فى المركز ،يؤدى دوره الى المنتهى : العمل الذى اعطيتنى لأعمل قد أكملته (يو ١٧ : ٤) ·

دخول السحاب

(مر١٠: ٣٢ - ٤٥+لو١٢: ٤٩-٥٣)

فى هذه المرحلة الأخيرة فى أورشليم ، كان يسيطر على التلاميذ شعور داهم بالحيرة والخوف · ولعل ما كان يقلقهم كان اعتزال الرب وما يبدو عليه من هم وانشغال حتى وهم يسيرون على بعد خلف الرب ، كانوا يحسون أن الجو مشحون بأحداث جسام ، وكانوا يتوجسون مما قد تضمره لهم هذه الاحداث ·

وعندما التحق بهم الرب ، أخذ يكشف لهم عما سيحدث له بالتفصيل فى أورشليم ، أولا على أيدى الكهنة والكتبة ، ثم ثانيا

على أيدى القضـــاء والجنود الرومان · ولكنـــه رفع الســـتار عن المحصلة النهائية لهذه الأحداث ، حتى لقد أعلن لهم عن قيامته فى اليوم الثالث ·

ويبدو أن قصة الاخوين يعقوب ويوحنا تعتبر نشازا بالنسبة لروح الساعة · ويبدو أيضـــا أنهم قد خامرهم الظن بان رســـالة معلمهم قد حان الوقت لكى تتحقق وتنجح ، مما دعاهم الى التقدم للمعلم يسألونه مكانا وكرامة فى مملكته التى كان يزمع أن ينشئها ويعلنها · وكثيرون منـــا ـ اذا عرفوا أنفســـهم ـ يحتاجون الى الأعتراف بأنهم كانوا سيتخذون الموقف الخاص بالتلميذين · ولم يكن هناك مناص أن يعطى الرب جوابا يلفت أنظارهم الى الموت ـ الكأس الذى كان عليه ان يشربه ـ والمعمودية التى كان ينبغى أن يغطس ويصطبغ بها · لم يكونا ـ حتى ذلك الوقت ـ على المستوى الروحى الذى يؤهلهما لشركة الكأس والعماد· وبعد ذلك ـ على أى حال ـ كان لابد لهما أن يدخلا شركة الامة عندما أعلنا شهادتيهما من أجله ·

وكانت هذه الحادثة من جانب الأخوين ، حافزا للرب لكى يقوم بخدمته للتلاميذ حتى يشرح لهم قانونا من قوانين الملكوت يختص بالكبرياء والتقدم فى الكرامة · وقد قدم نفسه مثالا ونموذجا لكى يؤكد هذا القانون ، ثم ختم الحديث بمثال ملحوظ ـ حقيقة ـ أوجز فيه رسالته وخدمته الالهية · لأن ابن الأنسان أيضا لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مر ١٠ : ٤٥) والفدية من حيث هى التعويض المادى الذى يدفع ثمنا للحرية من الأسر أو العبودية أو الموت نفسه ، كانت ترتبط ارتباطا وثيقا فى فكر العهد القديم عن الفداء ويبدو فى تلك الساعة أن ذهن الرب يسوع كان يجوس خلال العهد القديم ورؤياه عن خلاص المسيح وفدائه ، ثم يرى ذاته فى قلب هذه الرؤيا ومركزها · وكان يضع ـ فى نفس الوقت ـ نصـــب عينيه أولئـــك الكثيرين الذين ارتهنت

نفوسهم ، والذى يحتاجون الى الخلاص عن طريق ثمن الفدية الذى كان ينبغى أن يدفعه ـ حتى ولو كان هذا الثمن هو حياته نفسها ، ويرى الكثيرون من علماء الكتاب المقدس أن الرب قد أوجز فى العبارة الأخيرة المعنى النهائى لحياته وموته · ولا شك أن الكنيسة قد رأت وأدركت معنى الفداء فى حياة وموت رب المجد ، من حيث أنها تكشف عن الثمن الذى دفع فى فدائنا ·

+ **لانكم قد اشتريتم بثمن · فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله** (اكو ٦ : ٢٠) ·

ولعل هذا هو التفسير الوحيد الذى يقبله العقل والقلب معا ، أن حياة المسيح فى طاعته حتى الموت ، مهما كان الغموض الذى يكتنفها ، قد وضعت على مذبح الفداء ، الواحد عن الكثيرين ··· وكأنها رجع الصدى لتلك الصرخة النبوية التى أطلقها اشعيا النبى (اش ٥٣ : ١١ ـ ١٢) ·

وقد أشار الرب مرة أخرى الى موته باعتباره المعمودية التى يجب عليه أن يصطبغ بها بارادته ومشيئته وحده ·

+ ولى صبغة أصطبغها ، وكيف انحصر حتى تكمل (لو ١٢ : ٥٠)

وكانت المناسبة التى تواردت معها هذه الاشارة حديثة عن النار · كان عليه أن يعلن ويقدم تجربة الالم التى سينطوى تحتها كل أتباعه المؤمنين · أما عن نفسه فقد اندلعت النار فعلا فى العداوة التى اشتعل أوارها فى قلوب قادة اليهود ، فأضرمت لهيب الاضطهاد والعدوان · ولم يكن هناك ما يحول الرب عن هدفه وقصده ، فقد كان منحصرا حتى يحقق الغاية من حياته على الأرض ، وهذه الكلمة تعبر بصدق عما يعتمل فى صدره من الشوق ـ بما يحمل من ألم ـ يحضه ويحثه على المضى قدما حتى يصل الى النهاية المعينة حسب قصد الله قبل كل الدهور ·

وهكذا نرى فى وضوح ـ لامزيد عليه ـ أن الموت ، فى فكر المسيح ، كان هو قمة نجاحه فى الحياة ، والهدف الذى كان يسعى اليه بشغف وغيرة ٠

قـــوّة الصّليب

(يو ١٢ : ٢٠ ـ ٣٦)

مما يسترعى الالتفات أن بعضا من اليونانيين الدخلاء فى اليهودية قـد حضروا الى أورشـليم لكى يشـتركوا فى الاحتفال بالعيد ، وهؤلاء اليونانيين التمسوا بقوة أن يتقابلوا مع الرب ٠ الا أن جواب الرب على هذا الطلب كان اكثر اثارة للانتباه ٠٠ ومع أن الدوافع التى حركت السائلين اليونانيين كانت فوق مستوى الشبهات ، فليس هناك من الدلائل ما يبين أن الرب يسوع وافق على هذا الطلب ، أو أتاح فرصة للقاء ، وبدلا من ذلك أخذ يتحدث حديثا مقبضا عن حبة القمح التى تلقى فى التربة وتموت ، ولكنها فى هذا الموت تنتج محصولا وفيرا ، ومعنى ذلك أن حصاد الأمم يجب أن ينتظر حتى يتمم الفداء بالموت على الصليب ٠ فلو كان هذا الطلب اليونانى يقدم طريقا أسهل من طريق الالام والصليب والقيامة لأنجاز الفداء ، لما قبله الرب وأعلن رفضه فورا ، ولكنه ـ فى هـذا ـ أنما يعلن مـرة ثانيـة عن قانون من قوانين مملكته الروحية ، الذى ينطبق على ذاته هو كما ينطبق على كل تابعيه ، أنه عن طريق بذل الذات فقط يمكن أن يكون هناك تحقيق للوجود والذات ٠

بالنسـبة للموت ، يبدو أن الرب يتنازعه عاملان مختلفان ٠ فساعة الموت تعنى ساعة استعلان مجده ، ولكنه ـ من ناحية أخرى

ـ نفسه قد اضطربت حتى أنه يطلب من الاب أن ينجيه من هذه الساعة · ومع ذلك فأن هذا التراجع المذعور ، الذى يعبر عن أن المسيح انسان حق ـ أفسح الطريق فى الحال للخضوع الأرادى لذلك القصد الذى يسبق كل هذه الوقائع ، ومع ذلك فهو يحركها بحيث تؤدى الى تحقيق الغرض ، وبدون الموت لا يمكن تحقيق هذه الغاية المنشـودة ·

من المحتمل أن تكون أجابة الرب على طلب اليونانيين ، قد أتت الساعة ليتمجد ابن الأنسان (يو ١٢ : ٢٣) وكأنه يقول : على الأمم أن ينتظروا تلك الساعة المعينة عندما يكرز بانجيل الصليب فى كل العالم بقوة الروح القدس (أع ٨ : ٤) وعندما يتم هذا ، يصـبح للصليب جاذبيته المغناطيسية التى تجـذب الجميع الى · والأحـداث التى وقعت فى أعقـاب حلول الروح القدس أن موت المسيح ـ الحى الآن ـ فقط يمكن أن يقدم للعالم الغفران والسلام والقوة التى تحتاج اليها كل طبقات البشر · وكل من سمع حديث الرب عن موته كانت تأخذه الحيرة · ولهذا فهو يوصى التلاميذ أن يسيروا فى النور مادام لهم النور ، لان فرصته السانحة للحديث المباشر معهم قد قاربت نهايتها ·

وفى ختام هذا التعليق ، لا يسعنا الا أن نكرر من جديد أن الرب يسوع كان يرى فى جلاء ووضوح ، وبالتفصيل ، الطريق الى الصليب ، الذى تعين له من أجل خلاص البشر ، وأيقاع الهزيمة بقوات الشر فى العالم · والرب على الصليب ـ فى صورة الضعف ـ يجذب اليه الجميع ويملك على قلوب البشر ، ويسود ملكا على هذه النفوس فيكون ملكوتا ليس من هذا العالم · وبقوة صليبه يسقط رئيس هذا العـالم ، ويكون لنا السلطان أن ندوس جميع الحيات والعقارب وكل قوة العدو · فان كان الصليب هو صورة الضعف ، الا انه من جهة أخرى هو سلاح المؤمنين فى جهادهم الروحى لغلبة الخطية والموت · ولهـذا تنظر الكنيسـة الى الرب

يسوع الذى رسم أمامها مصلوبا ، وتنشد بين البكاء والفرح · لك القوة والمجد ، والعزة والبركة الى الأبد آمين يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح ، كما أن الكنيسة فى الفقرة الاولى من هذا النشيد تسبح المسيح من أجل تجسده لانه هو بداية خطة الله لخلاص الانسان فنقول : عمانوئيل الهنا وملكنا ·

الفصح الأخير.. والعهد الجديد

(لو ٢٢: ١ - ٢٣)

حدث هذا فى موسم الفصح · كان القلق قد اخذ من شيوخ اليهود ورؤسائهم كل مأخذ ، ففى العيد تتقاطر جماهير الشعب من كل مكان فتزدحم بهم المدينة فى احتفالات الفصح ، والخوف كل الخوف أن تنتشر تعاليم المسيح بين هذه الجموع الحاشدة ، ورأوا أن الضرورة تحتم عليهم ان يضعوا خططهم لأزاحة المعلم من طريقهم ، ولكن الخطة فى ذلك الوقت كان يجب ان تنضج سريعا قبل فوات الأوان · كان يهوذا الاسخريوطى هو الحل المنشود لمشكلتهم وتحت تأثير الروح الشرير الذى استأثر به ، ذهب لكى يعقد صفقته مع اولئك الشيوخ والرؤساء ، ويسلم معلمه لهم فى فرصة حين يكون وحيدا لا يحيط به جمع ، فلا يحدث شغب أو ثورة ·

ولكن الرب يسوع أظهر بما فيه الكفاية أنه سيد الموقف ، فحدد المكان الذى سيحتفل فيه تلاميذه بالفصح وعلم انه سيكون موضع الحفاوة والترحاب عند مضيفه ، وعندما جلس مع تلاميذه على المائدة ، أعرب لهم عن شهوته ان يأكل ذلك الفصح بالذات معهم · وقد تكون هناك أسباب عديدة لذلك ، ولعل أبسط هذه الأسباب أنه كان يريد رفقتهم حتى يشاركوه حزنه وألمه · وكان يريد أيضا ـ بلا شك ـ أن يبوح لهم بأسرار الوقائع التى كان مزمعا أن تحدث له ، وبذلك يعدهم ذهنيا ونفسيا لمواجهة الأزمة العنيفة

التى كان عليهم أن يجوزوها · ونستطيع الآن أن نتبين أن الرب كان يضع الأساس للعلاقة الروحية بين تلاميذه وبين معلمهم الغائب عنهم · هذه العلاقة التى سوف تستمر حتى مجيئه الثانى ·

وعندما أعلن الرب أنه لن يأكل من الفصح حتى يكمل فى ملكوت السماء ، انما كان يشير الى الأحداث التى ستقع فى الأيام القليلة المقبلة ، عندما تتحقق كل الرموز التى يشير اليها طقس الفصح فى التدبير الألهى ، الذى يتمثل به أصل ومصدر تقاليد الفصح ، وفى نفس الوقت يمثل تحقيق وأتمام معنى الفصح · ومن الأمور التى لا تخفى دلائلها ومغزاها · أن الرب ـ فى وقت ما ـ وضع جانبا خروف الفصح ، وأبعده عن المائدة ، ووضع نفسه فى مكانه ، ويقول : هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ·· وهنا تلاحم الفصح اليهودى مع العشاء السرى فى الكنيسة المسيحية ·

وكان من تقاليد الفصح أن يؤكل مع أعشاب مرة ، وبينما كانوا متكئين أعلن الرب لهم أحدى التفاصيل التى كسرت قلبه وأحزنته ، كما أثارت القلق وأزعجت نفوسهم ، أن واحدا منهم سيسلمه ، وأن يد ذلك الخائن كانت معه على المائدة ، لقد انتابهم الشك فى نفوسهم مما جعلهم يتساءلون فيما بينهم عمن يكون مسلمة هذا (لو ١٢ : ٢٣ ومت ٢٦ : ٢٢) ·

وفى تأسيس العشاء السرى تحولت الكنيسة من الماضى لتجد رجاءها وعزاءها فى المستقبل وفى قلب هذا السر العجيب نجد جسدا مكسورا ودما مسفوكا ، وقد صارا طعاما لأولئك الذين تبعوا الرب · العشاء الذى كان ومازال يمثل المقدمة التى تسبق صباحا جديدا ، ويشير داود النبى لهذا الصباح الجديد بقوله : هذا هو اليوم الذى صنعه الرب ، فلنفرح ولنبتهج فيه واذ صنع الرب هذا العشاء أعلن أن ذبيحته هى العهد الجديد ، عهد الفداء والنعمة · هذه الذبيحة التى قدمها لغفران الخطايا ، مأكل حق ومشرب حق لكى تكون شركة ثابتة فى المسيح اذ يثبت المؤمن فى

المسيح ، كما يثبت المسيح فيه · عهد جديد للأنسان الذى رزح تحت سلطان الخطية ردحا من الزمان فذاق مرارة الخطية ومذلتها ، والتمس طريقها للخلاص منها والتحرر من عبـوديتها ، ووجـد ضالته المنشودة فى عمل الفداء · وهكذا يبدأ صباحا جديدا تشرق فيه شمس البر والشفاء فى أجنحتها ، ويتذوق فيه السـمائيات ويتعرف فيه على أسرار الدهر الاتى ، ويحيا على رجاء مجىء الرب واستعلان مجده وملكوته الابدى ·

من العليـة الى البستان

(لو ٢٢: ٢٤ ـ ٥٣)

ودار حديث التلاميذ على المائدة فى نغمة منخفضة ، أقل مما نتوقع فى هذه المناسبة المفرحة ـ عيد الفصح ـ وبسبب احساسهم بأن خطوبا جساما سوف تحدث ، وربما يظهر الملكوت الذى كان يحلم به اليهود جميعا ، أخذوا يستسلمون لخيالاتهم وتوقعاتهم فيما سيكون عليه النظام الجديد ، وأدت بهم هذه الثرثرة تلقائيا الى المكان الذى سيشغله كل منهم · وحدثت بينهم أيضا مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر ، ويحتل منصبا أعلى ، وفى مواجهة هذا الموقف ردد مخلصنا الصالح حديثه عن مبدأ الخدمة الحقيقية، التى تقوم أساسا على الاتضاع · حيث تتوفر الرغبـة فى خـدمة الآخرين ، واعتبار هذه الخدمة هى الكرامة الاولى ·

ثم وجه الرب حديثه الى معلمنا بطرس وكان الحديث ـ على قصره ـ مشحونا بالأنذار بالخطر الماثل ، كما كان مقبضا يدعو الى الحزن والضيق ، هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة، والغربلة يفصل فيها القمح عن قشوره ، والتطبيق الأدبى فى الكتاب المقدس يدل على الفصل بين الخير والشر ، وفيما يختص بالطبيعة الانسانية فالغربلة تمثل بصفة عامة القضاء على الشر ، لان المسيح

هو الظافر فى هذ المعركة ، الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ، ويجمع قمحه الى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ (مت ٣ : ١٢) أما من جهة الشيطان فمقاصده كلها شريرة ، وغربلته لا تقصد مجرد التمييز بين الخير والشر ، بل تستهدف أصلا القضاء على الخير لتكون السيطرة كلها للشر ، ومن أجل هذا كان لزاما أن المخلص يحرق التبن بنار لا تطفأ ، والتبن الذى يشير الى معنى الشر ، يعادل الشىء عديم القيمة ، وهكذا يتضح لنا قصد الشيطان من غربلة بطرس ، حتى يتخفف من التبن أى القشرة الخارجية لديانته ، ورأى الرب يسوع الخطر الذى يقترب من تلميذه ، وكان الرب قد صلى وسأل من أجلهم جميعا ولكن بطرس كان يحتاج الى طلبة خاصة لأنه كان هدفا لتجربة أبليس ، اذ كان الشخصية الرائدة بين الاثنى عشر والمتحدث بأسمهم ، ولذلك طلب الرب من أجله بصفة خاصة لكى لا يفنى ايمانه · ومع أن هذا الحديث فى ذاته يكشف عن سقطة بطرس الا أنه يحمل فى طياته ضمان العودة والرجوع ، وعهد اليه بواجب معين بعد رجوعه أن يثبت ويشجع اخوته لأن خبرته الخاصة وسقوطه سوف يؤهلانه لهذا الواجب اذ تمتلىء نفسه بالرفق والتعاطف · اذا فقد أنذرهم الرب بالأزمة المقبلة وما يكتنفها من أحداث جسام ، سيرونه وهو يحاكم ، ويحكم عليه ويصلب ، ولكن الرب يؤكد لهم أيضا أن هذه الامور لابد أنتكون هكذا تحقيقا لما جاء فى نبوة أشعياء عنه (اش ٥٣ : ١٢) وكل الأحداث التى أحاطت بالرب ، كلها بدون استثناء ، كان لها مغزاها الروحى الذى سبق فى علم الله السابق وتدبيره ·

اما المشهد فى البستان فلعله أبعد المشاهد تأثيرا وعمقا ، وفى كل الأنتاج الأدبى الذى تناول الآلام الانسانية ليس فيها ما يعادل هذا الوصف وهذا التفصيل الذى يحرك المشاعر والقلوب· فالتلاميذ الثلاثة الذين عهد اليهم بالسهر معه ، هم الذين كشفوا

احساسه بالضعف والوحدة (لو ٢٢ : ٤٠ ومت ٢٦ : ٢٧) كان الجو مفعما بالكآبة ، وقد خيم جو ثقيل من التوقع والانتظار جثم على الأنفاس حتى أنه انفصل عنهم نحو رمية حجر ، بين الظلال القائمة لاشجار الزيتون · وهناك بدا أمامه بوضوح كأس الالام التى كان عليه أن يشربها على الصليب ، فراح فى نوبة من الدهش والاكتئاب (مر ١٤ : ٣٣) وجاهربأن نفسه حزينة جدا · ويصعب علينا أن نتعرف على عناصر الخوف ، ففى طبيعته هو أنسان كامل شديد الحساسية للألم لانه بار بلاخطية ، وفى شخصة القدوس ، مع ذلك ــ من أجلنا كان لابد أن يعامل معاملة الخطأة ــ ومن جهة الروح كان هو الابن المحب ، الذى كان عليه الان أن يواجه أباه مقطب الجبين · ومع انه صلى بلجاجة الى القادر أن يسمع دعواه ، حتى يعبر عنه هذه الكأس ، الا أنه سرعان ما أخلد الى الرضى والتسليم لما كان يعرفه جيدا أنها ارادة الرب ·

وعندما بلغ هذه المرحلة المريرة من المشقة والألم والشعور بالوحدة القاتلة ، أتت رسالة من بيت الاب ، ظهر له ملاك من السماء يقويه ويؤكد له أن كل قوى السماء تقف وراءه فى جهاده · اننا لا نستطيع أن ندرك كيف واتته القوة من السماء ، ولكن لا يخفى علينا أنه على أثر تشجيع الملاك ازداد التوتر ، وأرهف حسه ارهافا شديدا حتى أن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الارض ·

وبعد ذلك تم القبض عليه ، ولكن كلمة القبض لا تعبر عن حقيقة ما حدث ، لانه كان استسلاما ارادیا · وهذا بدوره يتيح لنا ملاحظة أن الرب كان سيد الموقف على طول الخط ، وله السلطان على جميع الاحداث ، فقد كان يعرف أن هناك ساعة معطاة لخصومة لكى يؤدوا وظيفتهم تحت سلطان الظلام ·

الصّليب

(مت ٢٧ : ٣٢ - ٥٤ + يو ١٩ : ١٨ - ٣٠)

من الملامح الملحوظة أن الأناجيل الأربعة تسهب فى الرواية كلما اقتربت من قمة الاحداث حيث موت المخلص فيخصص كل من متى ومرقس ولوقا حوالى ثلث المساحة لوصف أسبوع الالام ، ويزيد القديس يوحنا عن هذه المساحة ومشهد الصلب يعرض فى أدق تفاصيله ، وهذا فى حد ذاته يعطينا المفتاح لأدراك مفهوم الكتاب المقدس للقيم ٠

ومكان الأحداث هو الجلجثة ، ولم تصل الأبحاث الى تحديد موقعه بالضبط ، ومع أن آلام الصليب كانت فوق طاقة الاحتمال ، الا أن الرب رفض أن يشرب كأس الخمر الممزوج بالمر التى كان يقصد بها تخفيف آلامه ٠ ومن الواضح أنه أراد أن يجوز طريق الالام وهو فى كامل احساسه وقدراته ٠ ومما يسترعى الالتفات أنه صلب بين لصين ، فقد كان هذا هو مصيره كحامل للخطية أن يحصى مع اثمه (اش ٥٣ : ١٢) وكما عاش طوال حياته - ليس معتزلا ولا ناسكا بل - وسط اخوته من البشر ، هكذا ايضا ، كان فى وسطهم عند موته ٠ اما الكتابة التى أمر بيلاطس بوضعها على الصليب ، فقد كان الغرض منها اذلال كبرياء اليهود الدينى ، والأعراب عن احتقاره وسخريته من طموحهم السياسى ٠ ولعل هذه الكتابة كانت هى أول سطر يوضع كتابة فى العهد الجديد ، وبالنسبة لأحد اللصين كان هذا السطر نفسه هو الأنجيل كله ، يحيط شخص المتألم ومجده الآتى بهالة من البرق الخاطف ٠

والقديس متى يبرز حقيقة الظلمة التى كانت على الأرض من الساعة السادسة - اى الظهر - حتى الساعة التاسعة - أى الثالثة

مساء حسب التوقيت العبرى ، ولعل هذا كان وسيلة التعبير التى لجأت اليها الطبيعة لتعلن مشاركتها أو مشاطرتها لالام رب الطبيعة· ويرى البعض أن هذا الوصف يتناول الالم العنيف الذى انخرط فيه حامل خطيـة العـالم · لقد تفاعلت آلام الرب مع هذه الظلمـة الخارجية ، فاعتصرت من شفتيه تلك الصرخة النافذة : الهى الهى لماذا تركتنى لم يكن هذا وهما ، أو تداعيا وانهيارا فى الايمان ، بل كان اختبارا وتجربة فيها يشعر حامل الخطية بموقفه الشائن المزرى قدام الله · لقد انسحب الانسان من المشهد ، وأصبح قرار العهد فى يدى ديان الكل العظيم · ولكن الله لم يترك مسرح الأحداث حتى وان أمسك محبته الى حين لأنه فى هذه الساعة بالذات كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه (٢ كو ٥ : ١٩) ·

والقديس يوحنا يسجل الصرخة الوحيدة التى تعبر عن الالم الجثمانى : انا عطشان وكان الخل أو النبيذ الحمضى الطعم هو الشراب المألوف عند الجندى الرومانى · وفى وسط هذا المشهد الرهيب ، يبدو هذا العمل ـ تقديم الخل ـ هو العمل الوحيد الذى ينم عن الأشفاق الأنسانى · فلما أخذ يسوع الخل استجمع قواه لكى يجاهر بصيحة الانتصار : قد أكمل ويقول معلمنا متى انه صرخ بصوت عظيم ، مما يخرج عن المعتاد بالنسبة لرجل منهوك القوى على وشك الموت · ولكن هذا يثبت أن حياته لم تنقض أو تنتزع كما يحدث مع سائر البشر عندما يباغتهم الموت · ولكن وهو فى كامل قواه ، قدم نفسـه الذبيحة الأخيرة على المذبح الأخير بواسـطة الكاهن الأخير فى ناموس العهد القديم ·

وعندما نفارق هذا المشهد يأخذنا العجب والدهش ، ولكن هذا الشعور يتنازعنا ازاء أمور مختلفة ، هل نعجب من الخطيـة التى صنعت كل هذا ، واقتضت الحاجة اليه ، أم يأخذنا العجب من النعمة وطول الاناة التى قبلت كل هذه الالام واحتمالها ، أم نندهش من هذا الحب العجيب الذى قدم لنا هذا الفداء وأنجزه ؟ ··

الفداء
في تعليم الرسل

الفـــداء
فى تعـليم الرّسُـل

مثل شاة سيق الى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه ـ هكـذا لم يفتح فـاه · فى تواضــعه انتزع قضاؤه ، وجيله من يخبر به لأن حياته تنتزع من الأرض (اع ٨ : ٣٢ ـ ٣٣)

* * *

بطرس الرّسـول

كما رأينا من قبل فى فكر المسيح ، انه لابد وأن يسلم تلاميذه رؤية متكاملة عن عمله فى الخلاص ، وتفسير ذلك العمل ونستطيع بالحقيقة أن ندعى أن عقيدتهم هى التفسير الكفء لحقائق الأنجيل المقدس · فروايات الأنجيل عن حياة وموت الرب يسوع تبدو غامضة الى حد بعيد تنقصها الغاية والهدف لولا تدخل العقيدة الرسولية أو التقليد الرسولى الذى يقوم بدور التفسير والأيضاح · وقد كان معلمنا بطرس قريبا من الرب فى حياته بالجسد على الأرض ، ودعوته للرسولية تؤهله للقيام بهذا العمل بنجاح رائع ، ولهذا فهو جدير بأن نعيره أذانا صاغية عندما يحاول تقييم هذه الحقائق ·

كما يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الكثير من أحاديث الرب التى تختص بتدبير ملكوت السموات ، وشرح ما يتصل بعمل الفداء فى الناموس والأنبياء لم يرد فى الانجيل المقدس ، ولابدلنا أن نستمده

من كتابات الاباء الرسل وتقليدهم · فنحن نعلم أنه بعد القيامة كان الرب يظهر للرسل والتلاميذ ويحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت أى الكنيسة · وعندما تحدث مع تلميذى عمواس فسرلهما الاحداث الخاصة بالصليب والقبر وأنها كانت موضوع النبوات والناموس · هذا التراث كله لا يسمح لنا بتجاهل التقليد الذى يمكن ان يكشف لنا عن الكثير من الحقائق ·

الوعد

(أع ٣ : ١٣ - ٢٦)

كان منظر الاعرج جالسا عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل من المناظر المألوفة عند المترددين على الهيكل وهم ينفحونه بما يستطيعون من عطاياهم وصدقاتهم · الا أن هذا المنظر كان كان يمثل تحديا للأيمان الجديد ، وخبرة حلول الروح القدس التى جازها التلاميذ منذ قليل · ولكن المألوف المعتاد صار تحديا حقيقيا لا يمكن تجاهله · وتمت معجزة الشفاء الا أن المعجزة أثارت تساؤلا حول القوة التى أمكن بها اقامة الأعرج ليسير على قدميه من جديد · وانتهز القديس بطرس الفرصة لكى يشهد لقوة الرب المصلوب الذى صعد الى السموات فى المجد لانه هو الذى أعاد الصحة لهذا العليل ·

وقد حرص معلمنا بطرس أن يربط كل الأحداث التى تمت فى الأسابيع القليلة السابقة بالمواعيد التى أعطاها الله بواسطة عبيده الأنبياء على مر العصور · واذا كان القصد الالهى وراء كل هذه الأحداث ، الا أن هذا لايعفى اليهود من ذنب الصليب · وكانت كلمات بطرس الرسول معبرة وحية وهى تؤكد جسامة الجرم الذى ارتكبوه · ولم يتناول فى شرحه الصليب فقط ، بل تحدث عن الصليب

فى ضوء الصعود وتمجيد يسوع البار ، الذى ختم على كل ما حدث فى الجلجثة بخاتمه الالهى · وكان اسم وسلطان الرب المجد هما مصدر القوة التى يسألون عنها ·

وتأسيسا على حقيقة موت المسيح وقيامته ، قدم القديس بطرس دعوته للتوبة والندم على الخطايا السالفة ، ولم يكن قبولهم للأيمان مجرد نتيجة لخبرتهم الشخصية للغفران بل بالحرى فى تعجل أوقات الفرج التى وعد بها الله كعلامة واضحة للعهد الجديد ، والمجاهرة بالمجىء الثانى لربنا يسوع المسيح ·

والغاية الرئيسية من رسالة القديس بطرس هنا ، هى أن يعرفنا أن الوقت الحاضر تمتد جذوره فى الماضى ، وأنه يتم كماله ويتحقق تماما فى المستقبل ، فالوعود المسيانية فيما يختص بعبد الرب قد وجدت ــ الى حد ما ــ تحقيقا لها فى آلام يسوع الناصرى، وستجد تحقيقها الكامل فى الدهر الآتى · وهكذا جعل معلمنا بطرس من الصليب مركزا وقلبا لتاريخ العالم ·

الكرازه بالصليب

(أع ٤ : ٢٣ـ٣١ و ٥ : ٢٧ ـ ٣٢)

من الامور الهامة التى تسترعى الالتفات أن المسيحيين لما شكروا الله من أجل نجاة بطرس ويوحنا من أيدى رؤساء اليهود ، صاغوا شكرهم فى عبارات العهد القديم (مز ٢) الذى كان مألوفا لديهم · وتطبيق كلمات المزمور على ربنا يسوع خصوصا ما يتصل بالصليب تم فى سهولة ويسر ، ومن الأفكار الحكيمة التى تجول بخواطرنا حتى الان ، أن اليهود والأمم ، هيرودس وبيلاطس ، الكهنة وجنود الرومان ، الذين يمثلون الدين فى أنقى صورة ، والعدالة المدنية فى أرقى مستوى لها ، كانوا شركاء فى ذات الفعل .

وبالتالى فمسئولية الجريمة تقع على عواتقهم جميعا · فبيلاطس وهو يقوم بحركته المسرحية فى غسل يديه (مت ٢٧ : ٢٤) للتنصل من المسئولية ، كانت عملا عقيما لانفع فيه ولا غناء ·

ولكن فيما وراء الغيرة التى كانت تنهش قلوب رؤساء اليهود، والظلم الذى تجسم فى القاضى الرومانى ، استطاع التلاميذ أن يميزوا الأفق الأوسع الذى يكشف عن يد الله وقصده ·

+ لانه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون (اع ٤ : ٢٧ ـ ٢٨)·

لم يكن مطلب صلاتهم هو سلامتهم ونجاتهم ، بل بالحرى أن تتاح لهم الفرصة لكى يشهدوا لألههم وأن تختم شهادتهم بقوة الله فى الايات والمعجزات · وفى الحال تلقوا جوابا فى ظهور قوة الله التى ذكرتهم بحلول الروح القدس فى يوم الخمسين ، والتى أدت الى امتلاء جديد بالروح القدس · وامتلاء الجميع من الروح القدس ، وكانوا يتكلمون بكلام الله مجاهرة (اع ٤ : ٣١) ··

وكان هذا الخلاص المعجزى للمعتبرين أعمدة فى الكنيسة ، دافعا لبقية التلاميذ حتى يكرزوا بالانجيل بأكثر مجاهرة · وكان بطرس الرسول هو الناطق بلسانهم وكانت التهمة التى وجهها اليه المجمع أنهم يعلمون بهذا الاسم · ولا يخفى علينا كيف تباطأوا وتورعوا عن النطق باسم يسوع · ولكن معلمنا بطرس أعاد على مسامعهم اعلان مسئوليتهم عن جريمة الصلب ، اذ صلبوا الرب البار يسوع المسيح ، الذى أثبتت كل الدلائل على أنه مسيا اسرائيل · وقيامة الرب وصعوده فى مجد كانت الدليل القاطع على أنه المخلص المسيا ، أما الان فهو يستخدم وضعه المجد ـ رئيسا ومخلصا ـ لكى يعطى اسرائيل الفرصة للندم والتوبة وغفران الخطايا · هذه الشهادة التى تتناول شخص المسيح وعمله ،

والارتباط بين السلطان والنعمة يثبت أنه مازال مشغولا فى عمل الخلاص ٠

وهنا يمكنا أن نلاحظ أن الرسل لم يعتبروا أن عمل المسيح قد انتهى بموته ، بل بالحرى ـ من الناحية العملية ـ يمكنا أن نقول أن هذا العمل قد بدأ بالقيامة وصعوده ، وذلك بالسلطان الذى يمنح به غفران الخطايا من حيث هو العطية العظمى القائمة على موته ٠ كما لا يجب أن ننسى أن المسيح حى ٠

دَم المَسيح الثمين

(ابط ١ : ١و٢ وَ ١٠ ـ ٢١)

فى هذا الفصل ، الفرصة سانحة لنا لكى نكتشف ليس فقط ما كان يدور فى ذهن بطرس الرسول عن موت المسيح ، بل يمكنا أن نعرف أيضا ما يعنيه هذا الموت بالنسبة للمتغربين فى الشتات ، بعضهم كان من اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين ، والبعض الآخر كان ينتمى الى طبقة العبيد بلا وطن ٠ وما قاله لهم القديس بطرس يستمد وزنا أكثر وقيمة أوفر من أنه كان شاهدا لالام المسيح ٠

ويذكر معلمنا بطرس موعوظية بالامتيازات التى حصلوا عليها كمسيحيين ، وعلى رأس هذه الامتيازات اختيارهم فى شركة العهد الابدى ، وغاية اختيارهم ان يتقدسوا شعبا لله ـ أى يكونوا شعبا خاصا له ـ بالروح القدس وطاعة ربنا يسوع المسيح ويتطهروا بدمه ، بمقتضى علم الله الاب السابق فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح (ابط ١ : ٢) ٠

ثم يعود بعد ذلك فى هذا الفصل فيربطنا ـ مرة أخرى ـ برجاء العهد القديم فى المسيا : الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء (ابط ١ : ١٠) فقد كان الأنبياء يتطلعون الى المستقبل

حين تتحقق المواعيد التى أوحى لهم ان يعلنوها ، وقد نقبوا وفتشوا فى كتبهم المقدسة لكى يعرفوا هذا الأمر · فقد كانت المواعيد ـ بصفة خاصة ـ تتناول المخلص المتألم ومجده الذى يترتب على هذه الالام ، اذ سبق فشهد بالالام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها (ابط ١ : ١١) والتى كان الملائكة يشتهون أن يطلعوا عليها لما تتضمنه من كشف أعمق لمجد الههم ·

ولكن القيمة العملية لالام المخلص بالنسبة لاولئك المسيحين المشتتين ، هى أن هذه الالام تحثهم على حياة القداسة فموت المسيح قد أنشأ علاقات جديدة مع اله قدوس يطلب منهم قداسة تتمثل فى قداسته وتستمد صورتها ووحيها منها : بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة ، لانه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس (ابط ١ : ١٥ ـ ١٦) لأن دم المسيح جعل هذه القداسة أمرا ممكنا للانسان ·

ولابد لنا ـ هنا ـ أن نلاحظ الثمن الذى دفع فى هذا الفداء : بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح · فالفضة والذهب كان يمكن تقديمهما لتحرير العبيد ، ولكنهما يمثلان مستوى من القيمة البائدة ، أما دم المسيح فهو كريم وثمين بمعنى أنه فى ميزان القيم الخالدة له قدره الذى لا يزول · ولهذا السبب فلا يمكن أن يوجد ما يتحدى أو ينافس الثمن الذى دفع فدية عنهم وبالتالى فهى ضمان كاف لخلاصهم وطمأنينتهم ·

وفداء المسيح أنشأ مجموعة من القيم الجديدة تماما ، للحياة الشخصية التى يتحلى بها المسيحى الذى يسعى الى قداسة السيرة، قيما تختلف عما درجت عليه الديانات القديمة من عادات عقيمة وحمقاء · أما الفداء بالدم فيرجع القديس بطرس بتاريخه الى شهادة العهد القديم بل والى أبعد من ذلك ، فى قصد الله قبل انشاء العالم ·

+ معروفا سابقا قبل تأسيس العالم ، ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم (ابط ١ : ٢٠) ٠

والآن ماذا يعنى الفداء بالنسبة لك ؟ خصوصا اذا عرفت أنه تدبير الله من أجلك ، قبل كل الدهور ، عندما تجد الجواب ، قم وانهض وارفع قلبك الى الله ٠

بـــه نقـــترب إلى الله

(١بط ٢ : ١٨ - ٢٥ + ٣ : ١٣ - ٤ : ٢)

فى الفقرة الأولى من هذا الجزء ، يضع القديس بطرس أمام عينيه الطاعة ، التى كان يجب على العبيد أن يقدموها لسادتهم ٠ وكانت هذه الطاعة تحتوى الالام فى مضمونها ، الام تحت وطأة الظلم والاستبداد ، ولكنه يتعالى ويتسامى بهذه الالام الى مستوى الدعوة الالهية : لانكم لهذا دعيتم ٠ فان المسيح أيضا تألم لأجلنا تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته (ابط ٢ : ٢١) فهو يرى علاقة ما بين آلامهم وآلام المسيح ، فيتخذوه قدوة فى السيرة والحياة بجملتها ٠

وآلام المسيح ـ على اى حال ـ كانت من نوعية فريدة ـ وكانت بلا استثناء نتيجة للظلم أما تصرف الرب ازاءهافكان عجبا ، خضوع تام وانكار للذات بلا حدود حتى أنه لم يطالب بحقوقه ـ ومع أن حياته كلها تتسم بالألم من القسوة والشر الذى حاق به من الناس ، الا أن هذه الالام بلغت أقصاها وذروتها على الصليب ٠

ولكن المسيح فى آلامه ليس مجرد قدوة للمضطهدين والمتألين، ولو أن هذا فى ذاته من أعظم التعزيات التى يكتسبها المسيحى من أيمانه ، وهو يجوز أيام غربته على الأرض ٠ الا أن الرب ـ فضلا عن ذلك ـ فقد كان أيضا هو الفادى : الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر

(ابط ٢ : ٢٤) وهنا نلاحظ أن القديس بطرس اعتبر نفسه ضمن العبيد المسيحيين الذين كان يخاطبهم « وحمل خطايانا » تمثل وجها من وجوه علاقته بنا ، وهذه العلاقة سببت للرب الما شخصيا عميقا · وفى كل الحساسية التى تميزت بها انسانيته ، كانت حساسيته تزداد عمقا وتأثرا لأنه لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر ، ومع ذلك فقد حمل خطايانا · وقبل الموقف الذى يترتب عليه قدام الله ـ الذى يمثل علاقة أنسان الخطية بالله العادل ـ والنتائج التى تترتب على هذه الخطايا بطريقة يصعب على العقل أن يستوعبها · لقد جاز الرب كل مقتضيات هذا الموقف على الخشبة ، أو بالحرى حتى الخشبة ، أقصى ما يصل اليه حمل الخطية من لعنة ·

بالنسبة للذين يعيشون فى الشركة مع المسيح بالأيمان ، فان حمل الخطية يعنى أمرين : الموت والحياة معا ، الموت للحياة العتيقة فى الخطية ، والحياة فى أفق جديد ، حيث يسود البر كمبدأ للحياة الجديدة ، وهكذا بجروحه وانسحاقه وكدماته ، وهو ما تعرف معانيها جيدا طبقة العبيد ـ اتاهم الشفاء ، حتى ولو كانوا يتألمون ظلما ·

وفى الفقرة الثانية (ابط ٣ : ١٣ ـ ٤ : ٢) يرجع معلمنا بطرس الى آلام طبقة العبيد عندما كانوا يتألمون ويضطهدون من أجل أيمانهم ففى مقدورهم أن يتطلعوا الى المسيح سيدهم البار الذى تألم من أجل الأثمة · وهنا ـ للمرة الثانية ـ ليس هو مجرد القدوة بل هو الذى يجدد علاقة البشر بالله لانه تألم لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح : لكى يزيل كل أثر لتغربنا عن الله ، ويفتح لنا طريقا لكى ندنو منه ، ويأتى بنا اليه فى خبرة الغفران والسلام · وفى موته ـ البار الذى حمل على منكبية مسئولية الأثمة ـ مات الموت بكل معناه كما يموت كل انسان آخر ، ونزل الى الجحيم ، طبقا لقانون الأيمان الرسولى ـ حيث

كان الموتى يقيمون ، ولكنه قام حيا من بين الأموات بالروح القدس ـ محيى بالروح ـ أما كرازته للأرواح التى فى السجن ، فالتقليد الكنسى يشرحه لنا بأنه بشارة الخلاص للذين ماتوا على رجاء لأن هناك كثيرون ماتوا وهم يتوقعون الفداء والخلاص بالمسيح ، وهؤلاء أيمانهم لا يخزى بل يكون ثمر أيمانهم للفرح باقتناء موعد الفداء ، ولهذا يربط القداس بين هذه الكرازة وبين عمل الصليب فيقول نزل الى الجحيم من قبل الصليب · ويشير القديس بولس الى هذه الحقيقة أيضا فى قوله : « لذلك يقول اذ صعد الى العلاء سبى سبيا وأعطى الناس عطايا ، وأما أنه صعد فما هو الا أنه نزل أيضا أولا الى أقسام الأرض السفلى (الجحيم) الذى نزل هو الذى صعد ايضا فوق جميع السموات لكى يملأ الكل (اف ٤ : ٨ ـ ١٠) ·

وينتهى هذا الفصل بالنصرة النهائية والمطلقة التى حققها عبد الرب المتألم ، الذى هو فى يمين الله ، اذ قد مضى الى السماء ، وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (ابط ٣ : ٢٢) وهكذا تنجح بيده مسرة الرب ، ومن تعب نفسه يرى ويشبع ، بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها ولذلك يقسم مع العظماء غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه ، وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين (اش ٥٣ : ١٠ ـ ١٢) ·

فى رسائل بولس الرسول

وبالنسبة لمعلنا بولس الرسول لم يكن موت المسيح مجرد عقيدة بل كانت أنجيلا وبشارة مفرحة ينادى بها لأن موت الرب على الصليب هو المصدر الأساسى والوحيد لهذه الكرازة ، كما أن هذا الموت يمكن أن يكون أيمانا عمليا ينطبق على شخصية الأنسان كلية فى جميع العلاقات التى يرتبط بها ·

بـــر الله

(رو ٣ : ١٩ - ٢٦ و ٥ : ٦ - ١١)

ابتداء من رو ١ : ١٨ ـ لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وأثمهم الذين يحجزون الحق بالاثم ـ حتى يصل الى هذه النقطة ، فان القديس بولس يأتى بالانسان روحيا وأدبيا الى الموقف الذى ينقطع فيه كل دفاع للأنسان عن نفسه ، ويصير كل العالم تحت قصاص من الله ، وعلاوة على ذلك فلا فائدة ترجى لهذا الانسـان اذا التمس طريقـة بين وسـائل الماضى أو وسائط الناموس · فكل طقوس العهد القديم وكل مطالبيه الزمنية الموقوتة ، انما تكشـف لنـا خطيتنا ووزرها · ولكنها لا تسـتطيع أن تزيل الخطيـــة ·

وعند هذا الحد يستخدم معلمنا بولس تعبيرا جديدا ـ من العبـارات المحببة لديه ـ بـر الله · وهـو يسـتخدم هذا التعبير للدلالة على :

١ ـ البر الذى يتطلبه الله من حيث هو التعبير الذى يليق بشـخصه ·

٢ ـ البر الذى يهبه الله ـ لأننا ليس لنا أى بر فى ذواتنا ـ عندما يقبلنا فى المسيح ابنه · بر الله ، بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون (رو ٣ : ٢٢) وهـذا بلا شك هـو مضمون الاخبار السارة فى أنجيل الرسول بولس ، أن البر الذى يتطلبه الله هوهو الذى يعطيه الله ويهبه للمؤمنين ·

والطريقـة التى يمكن بهـا أن يعهد بهذا البر لنا ، ويصبح امتيازا لنا هو : اذ الجميع اخطأوا وأعوزهم مجـد الله متبررين

مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة ، بالايمان بدمه لأظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله (رو ٣ : ٢٣ ـ ٢٥) حيث نجد ثلاثة اجراءات : ـ

١ ـ أولها اجراء قانونى بمقتضاه نكون فى حضرة الله ، ويعلن برنا وسلامة موقفا بالنسبة لمطاليبه علينا ٠

٢ ـ اما الثانى فمستمد من أجراءات اطلاق العبيد وتحريرهم ، اذ ننال هذا الحق بمقتضى قيمة الفدية التى دفعت من أجلنا فى المسيح ، ومازالت سارية المفعول الى أنقضاء الدهر ٠

٣ ـ اما الثالث فيتعلق بالذبيحة والتقدمة ٠ وفيما يختص بهذا الامر فربنا يسوع المسيح هو ذبيحة الفداء المعين من قبل الله الأب ٠ كرسى الرحمة أو الكفارة حيث يتلاقى الايمان مع دمه المسفوك من أجلنا ٠ وبسبب موت المسيح ، يستعلن بر الله عندما يعلن بر كل من هو من الأيمان بالمسيح ، كل من يتحد بابنه يصير بارا فى عينى الله ٠ وأن موت الرب هو أساس علاقة الله مع شعبه المؤمن فى الأزمنة القديمة من حيث أنها تعلن بره ٠

وفى رو ٥ : ٦ ـ ١١ نرى علاقة الفداء بحياتنا كلها فى الزمان الحاضر والى الأبد ٠ فقد كان الفداء من أعظم أعمال النعمة الالهية ٠ لانه عندما عجزنا تماما عن أصلاح علاقتنا بالله فأن المسيح مات لأجلنا ، ونحن بعد خطاة ٠ ولا يمكن أن يوجد تعبير أعظم من هذا لاعلان محبته لنا ٠ ومن خلال دم المسيح نحصل على ثلاث بركات :

١ ـ تأمين حياتنا ضد دينونة الخطية التى تستحقه فى يوم الدينونة ٠ فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الان بدمه نخلص به من الغضب (رو ٥ : ٩) ٠

٢ ـ مساندة وتدعيم وجودنا بحياة المسيح الذى صالحنا :

لأنه أن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت أبنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته (رو ٥ : ١٠) ٠

٣ ـ الفرح والفخر بعمل المسيح من أجلنا : وليس ذلك فقط بل نفتخر ايضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الان المصالحة (رو ٥ : ١١) ٠

ولعل هاتين الفقرتين يقدمان لنا فى ايجاز عمل المسيح فى المصالحة والعناية والأشباع ، كما يعرضها لنا الكتاب المقدس ٠

الحب المتبادل

(٢كو٥ : ١١ ـ ٢١)

ان القوة الفعالة الدافعة وراء كل نشاط بولس الرسول على ضخامته واتساعه كانت محبة المسيح التى تحصرنا ٠ وفى كثير من الأحيان أسىء فهم أو تأويل هذه القوة ، قوة الحب الشخصى الذى يكنه المسيح لهذا الرسول والاستجابة التى ولدتها فى قلب الرسول، ولم تكن بطبيعة الحال شيئا آخر غير المحبة ، ويؤمن بولس أن هذا الحب لابد وأن يعمل بقوة فى حياة كل الذين ماتوا مع المسيح ، والان يعيشون معه ومن أجله ٠

وهذا الحب عينه هو الذى يجعل بولس الرسول ينظر الى اخوته من البشر نظرة جديدة فهو لا يعتبرهم مجرد أفراد يحكم عليهم حسب ظروفهم الخارجية ، ولكنه يحدد حكمه فى اطار محبة المسيح الذى مات من أجلهم ٠ وفى نفس الوقت لا ينظر الى المسيح ـ كما سبق أن حكم من قبل ـ كمجرد انسان ، لكن يعرف الان يقينا أنه الرب الأله : وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الان لا نعرفه بعد (٢ كو٥ : ١٦) فالعلاقة مع المسيح تدخل تغييرا جذريا على شعبه بحيث يصبحوا خليقة جديدة ، وكل شىء بالنسبة

لهم يصير جديدا هوذا الكل قد صار جديدا الاشياء العتيقة قد مضت ، من افكار قديمة ونزعات ورغبات وطموحات كل هذا مضى وانتهى مع الانسان العتيق ، وحل محلها قيم جديدة وأهداف ومبادىء رسمها الله بنفسه ٠

وقد أعطى الرب شعبه الذى صالحه ، رسالة ٠٠ هى رسالة المصالحة التى تقوم على عمله فى المسيح يسوع ابنه : الذى صالحنا بنفسه بيسوع المسيح ، وأعطانا خدمة المصالحة ، ومضمون هذا أننا صرنا سفراء للمسيح نعظ جميع الناس بأسمه أن تصالحوا مع الله ٠ فالله كان يعمل من أجلنا فى المسيح ، عندما وضع عليه اثم جميعنا ، مع أنه كان بلاخطية ، حتى يخول لنا الحق أن نحمل بر الله ، مع أننا فى ذواتنا خالين من كل بر ٠ اذا فلم يكن الامر قاصرا على أن واحدا مات من اجل كثيرين ، بل وعلى الاخص ، البار من اجل الاثمة ٠

وهكذا ندخل الى قلب الأنجيل الذى كان يكرز به بولس : أن الرب يسوع أخذ مكاننا لكى يعطينا مكانه ٠ صار حاملا للخطية ـ دون أن يكون خاطئا ـ حتى نحمل نحن بره : لأنه جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه (٢ كو ٥ : ٢١) لقد تأمل أحد اباء القرن الثالث فى هذه القضية ، قضية الحب المتبادل فصاح وقد أخذه العجب والدهشة : يا له من تبادل حلو ، عمل لا يفحص ولا يستقصى !!

الخطية واللعنة

(غل ١ : ١ - ٥ و ٣ : ١ - ١٤)

ان الهدف من موت المسيح متعدد الجوانب ، وله أبعاده العميقة حتى أن الرسل الذين كتبوا العهد الجديد يقدمون لنا

الهدف فى أساليب مختلفة ، بل الكاتب نفسه قد يفسر هذا الهدف بأكثر من تفسير فى المواقف المختلفة ، ولنا فى بولس الرسول المثال الحى على ذلك · فهو يستهل هذه الرسالة بدعواه الرسولية التى تستمد من الله الاب الذى أقام يسوع المسيح من الأموات · وبهذا يجعل من موت المسيح وقيامته نصا حاسما قاطعا فى شروط السلطان الرسولى ·

ثم يكرر ما سبق أن أكده مرارا من أن المسيح بذل نفسه من أجل خطايانا ، وأن هذا الأساس ثابت لارجعة فيه · ولكن تخطيط ورسم ذبيحة الخطية وضعا فى صيغة جديدة · فالهدف المباشر من موت المسيح أن يضع التزامات على المسيحى بمجرد الأيمان به ، اذ يجب أن يعيش ايمانه أو يحيا تغيره أو توبته سواء فى هذا العالم أو الدهر الآتى · فلا شك أنه زمان شرير الذى يفرض علينا الخضوع لطغيان الأمور الحاضرة ، ولكن المسيح فى موته خارج المحلة (عب ١٣ : ١٣) قد خلصنا من هذا التأثير الشرير ، وبالتالى فقد تحررنا من عبوديته ، أن المسيح لم يخلصنا من الأثم فحسب ، بل قد اتاح للمسيحى قوة والهاما فوق سلطان العالم الحاضر ، وحدد له هدفا ورجاء فى العالم الآتى ·

وفى الفقرة الثانية (غل ٣ : ١٠ ـ ١٤) يدخل بنا الرسول بولس الى العمق لندرك ما تنطوى عليه آلام المسيح من أجل خطايانا · فقد وجد الرب البشرية تحت اللعنة ، لأنهم لم يفوا بمطالب الناموس الادبى (تث ٢٧ : ٢٦) لانه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به (غل ٣ : ٢٠) الناموس الأساسى لوجودهم وكيانهم ، هذا الناموس عجزوا عن طاعته بقلوبهم وحياتهم · كانت طاعة الناموس هى الشرط الوحيد لحياتهم ، مادام الانسان مسئولا أمام الناموس ، أما المسيح فقد أنشأ مبدأ جديدا للحياة فى اطار الاختيار البشرى ،

هو مبدأ الايمان ، فالأيمان يعطى الحياة ويسود الحياة ويحكمها من حيث أنه ـ فقط ـ يحكم ويؤكد العلاقة بالمسيح فى موته ٠

وهذا يقوله بولس الرسول ثانية فى الحديث من جديد عما فعله المسيح من أجلنا فى موته ، لقد افتدانا من لعنة الناموس الذى لم نحفظه ، والذى يتطلب الجزاء ويفترض العقاب المناسب ، ولكى يفعل ذلك ـ الفداء ـ كان عليه أن يقبل اللعنة على نفسه ، وقد فعل ذلك حقيقة كما يتمثل فى موته على الصليب (تث ٢١ : ٢٣) ولأن الرب يسوع قد حمل عنا هذه اللعنة ، فقد أتيحت لنا بركات الله التى وعدها للعالم بواسطة أبراهيم : المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا لانه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ٠ لتصير بركة ابراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالأيمان موعد الروح (غل ٣ : ١٣ ـ ١٤) ٠

ولعل هذا يكشف لنا أعماق المعنى الرهيب لما تعنيه « من أجل خطايانا » بالنسبة للمسيح يسوع عندما حملها فى جسده على الخشبة : الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة ، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر (ابط ٢ : ٢٤) ٠

القريب والبعيد

(اف ٢ : ١١ - ٢٢)

وهنا يعطينا بولس الرسول تفسيرا جديدا أو بالحرى بعدا جديدا لقصد الله فى موت المسيح ، أن يجذب اليه الذين كانوا بعيدين فيقربهم اليه ويمد النعمة اليهم ٠

ويقصد بالبعيدين فى هذه الحالة ـ الأمم الذين اعتبرهم اليهود غرباء ، وفى العصر الحاضر يوجد الكثير من الأمثلة التى تقابل موقف اليهود قديما ، مثل التعصب الجنسى لشعب من الشعوب

يعتبر نفسه فوق الجميع ، وقد اتخذ الحكم النازى هذا الشعار فى المانيا طوال حكمه الذى أدى الى الحرب العالمية الثانية ، ولكن ـ باستثناء الشعب اليهودى ـ كانوا فعلا بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية اسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد وبركاته ٠

وبينما هذا كان هو وضعهم الروحى ، فان حياتهم وحالتهم الروحية لم تكن أسعد حالا فقد كانوا بلا رجاء ، لا يدركون وجود الله فى هذا العالم ٠ وفى هذه الحالة ، وعلى هذا الوضع وصلهم أنجيل المسيح ، ولفتهم رياح التغيير العميق وأصبحوا متحدين بالمسيح بالايمان ٠ وبالتالى ـ بالنسبة لوضعهم ـ صاروا قريبين على أساس ذبيحة المسيح ، ـ وبالنسبة للحالة الروحية ـ فقد حصلوا على سلام الله : ولكم الان فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ٠ لانه هو سلامنا (غل ٢ : ١٣ ـ ١٤) ٠

واذ جعل الأمم ـ كما اليهود ـ شركاء السلام الذى أعطاه ، فقد جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج ـ الناموس ـ المتوسط والذى يفصل بينهما ٠ وهذه الوحدة لم تكن مجرد الجمع بين الاثنين جمعا ظاهريا بل نقض سبب العداوة بين الأمم واليهود بالغاء أعمال الناموس التى كانت عزيزة جدا فى عيون اليهود ، ولكنها لم تعد ملزمة أو مفروضة على شعب المسيح ٠ وهكذا جمع بين الفريقين فى انسان واحد جديد ، يتمتع بالسلام مع الله ، وبالسلام الواحد مع الاخر ٠ لقد قتل المسيح العداوة من خلال صليبه وأعطى سلام المصالحة لكل من اليهود والأمم ، ثم أعلن عن ذاته باعتباره الطريق الوحيد للاقتراب الى الله : لان به (بالمسيح) لنا كلينا (اليهود والأمم) قدوما فى روح واحد الى الاب ٠

ثم يعدد البركات والخيرات التى نجنيها من القرب امام الله : فالروح القدس يقدمنا فى حضرة الله كعائلة واحدة ، وننال

شركة المسيحيين جميعا كمواطنين معا فى ملكوت الله وأعضـــاء اهل بيته ، فلستم اذا بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله (اف ٢ : ١٩) وترتبط كأعضاء فى هيكل روحى واحـد يقوم على تعليم الرسل والانبياء ، ويستمد هذا الهيكل وحدته من المسيح نفسه حجر الزاوية ٠

+ **مبنيين على أساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذى فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكلا مقدسا فى الرب** (اف ٢ : ٢٠ ـ ٢١) ٠

هذا الهيكل الروحى ينمو لأن كل حجر حى فيـه قد تعين مكانه ـ ونلاحظ هذا الأصرار العملى على أنه ـ هيكل مقدس أو بعبارة أخرى المكان اللائق لحضور الله ٠

+ **الذى فيـــه أنتم أيضـا مبنيون معـــا مسـكنا لله فى الروح** (اف ٢ : ٢٢) ٠

المسيح مخلص الجميع

(١ تى ٢ : ١ - ٧ وتى ٢ : ١١ - ١٤)

ويكتب الرســول بولس الى تلميذه تيموثاؤس عن الواجب الذى يجب على جميع المسيحيين أن يلتزموا به ، ان يصلوا من أجل جميع الناس خصوصا الملوك ، ويبرر الرسول هذه الدعوة ويقويها بالأشارة أولا الى مشيئة الله المعلنة لجميع الناس لخلاصهم عن طريق معرفة حق الأنجيل ـ فى خبرتهم وحياتهم الشخصية ٠ ولما كان هناك اله واحد فقط فهذا الاعلان عن مشيئته ينطبق على جميع النـاس ٠ وعلاوة على ذلك فقد أعـد الرب الطريق لجميع الأمم أن يقتربوا اليه ، وذلك بواسطة الشفيع والوسـيط يسـوع المسيح ، من حيث هو انسان فهو قريب من الناس ، ومن حيث هو

اله فهو قريب من الله ، وهو الشفيع بفضل الفدية التى دفعها لكى يصنع هذا التقارب ، وحيث أنه هو الشفيع الوحيد وأنه لا توجد سوى فدية واحدة ، فلابد ان يكون فى متناول الجميع ٠

وفى الرسالة التى تيطس (تى ٢ : ١١ ــ ١٤) يعلن بولس أن نعمة الله المخلصة لجميع الناس قد ظهرت ، وهو بذلك يشير الى مجىء الرب يسوع المسيح ودخوله الى التاريخ البشرى ٠ وهذه النعمة قد صنعت الخلاص ليكون فى متناول جميع طبقات الناس ، لتمد استنارتها الروحية وثقافتها الأدبية الى جميع انحاء العالم ٠

هذه الثقافة التى تدور حول نعمة الله ، نتلقاها فى رزانتها وفى تحفظها ، لكى تكون سيرتنا طاهرة فى المسيح ٠

فمن الناحية السلبية ، نتعلم أن ننكر ونستنكر الفجور وجميع الشهوات العالمية أى أن نترك حياة التغرب عن الله حيث نتعمد تجاهله ونسيانه ، وأن نكف عن الطمع العالمى ٠ ومن الناحية العملية الأيجابية ، نتعلم كيف ندبر حسنا جميع علاقاتنا ومعاملاتنا : من الناحية الشخصية أن نعيش بالتعقل أى بالتدقيق فى ضبط النفس ، وفى حياتنا الاجتماعية أن نحيا بالبراى مراعاة العدالة والانصاف بحيث أدقق فى احترام حقوق الآخرين ، ومن حيث علاقتنا مع الله نتعلم الحياة التقوية حيث يتوفر الاحساس بالحضور الالهى ومخافته ٠

اذا فنعمة الله المخلصة تدربنا على السلوك فى العالم الحاضر ، أما فيما يختص بالعالم الاتى ، فتعلمنا هذه النعمة أن نتوقع بالرجاء مجىء الرب الذى فدانا ــ الذى هو الله نفسه ــ منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح ٠ ومع هذا الأعلان الفريد عن الوهية المسيح ، الا أن هذا لا يحول بولس الرسول عن مواصلة اهتمامه بالتطبيق العملى لهذه الآيات الخاصة بالنعمة لأن عباراته القوية الرائعة التى تتناول

شخص ربنا يسوع المسيح لم يهدف من ورائهـا أن يقدم تحليلا لاهوتيا منعزلا أو عرضا نظريا مجردا بل يقدم ايمانا كليا لا يفترق الجانب النظرى عن الجانب العملى سواء كان روحيا أو اجتماعيا٠ فالمخلص الالهى قد افتدانا لكى نكون ذلك الشعب الذى يعلن عن ايمانه فى صفاته الشخصية وفى سلوكه : الذى بذل نفسه لاجلنا لكى يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه شعبا خاصا غيورا فى أعمال حسنة (تى ٢ : ١٤) ٠

الفداء
في الرسالة إلى العبرانيين

الفـــداء
فى الرسـالة إلى العبرانيين

فى الرسالة الى العبرانيين يحاول معلمنا بولس الرسول أن يواجه احتياجات بعض المسيحيين ـ من أصل يهودى ـ يبدو أنهم فقدوا غيرتهم الأولى نحو الايمـان المسـيحى · ومن المعروف أنه قامت فى الأوسـاط اليهودية مـن المسـيحيين ـ حركة للتهود أى التمسك بالفروض والتقاليد والعادات اليهودية ، واعتبروها خطوة أساسية للايمان بالمسيح ، واضطر القديس بولس أن يواجه هذه الحركة بالصراحة والحزم ، كما ندد فى بعض الأحيان بالتعاليم التى أرادوا فرضها على الامم · واضطر الى عرض المشكلة على أول مجمع كنسى ـ مجمع الرسل أع ١٥ ـ للبت فى هذا الموضوع · كما أن هـذه الفئة من المسيحيين اليهود أقلقتهم عثـرة الصليب وما تولد عنها من أعمال الاضطهاد مما عرضهم لخطر احتمال ارتدادهم الى اليهودية · ورغبة فى تبديد الشـكوك التى أخـذت تساورهم عمل الكاتب على تأكيد أفضلية الايمان المسيحى مستندا الى نصوص وتعاليم العهد القديم التى يؤمنون بها وبالتالى تصبح الأرضية المشـتركة للحوار أو الجـدل اللاهوتى بين المسـيحيين واليهود · ويهتم القديس بصفة خاصة بالتأكيد على سمو وعظمة الرب يسوع المسـيح اذا ما قورن بقادة العهـد القديم ، وامتياز ذبيحته على كل ذبائح وطقوس العهد القديم · وفى الرسالة بأكملها نرى المسيح هو الكاهن الذى يقف أمام الله من أجل الانسان : رئيس كهنة أمينا فى ماله حتى يكفر خطايا الشعب (عب ٢ : ١٧) · حتى يقدم الأنسان نحو الله ، والله نحو الانسان ·

نضوج الايمان

(عب ٥ : ١١ - ٦ : ١٠)

ان المسيحيين الذين لم يظهروا ثمار الشخصية المسيحية الناضجة ، يصفهم الرسول هنا بأنهم أطفال لم يبلغوا بعد سن النضوج ، ولهذا ينبغى أن يكون اللبن طعامهم بدلا من الطعام القوى · فالمؤمنون الناضجون قد تدربت مواهبهم وتمرنت بحيث صارت حواسهم مدربة على التمييز بين الخير والشر : بين النافع والضار (عب ٥ : ١٤) ·

وبعد ذلك يهيب بهم الرسول للتقدم نحو الكمال أو النضج الروحى ، ويدعوهم أن يضعوا جانبا ما ألفوه من ممارسات يهودية تقليدية لان هذه الحقائق الأولية كانت شائعة لدى المسيحيين واليهود على السواء · ولكى يتضح لنا معنى عب ٦ : ١ و ٢ يمكنا أن ننقل عن الترجمة الانجليزية الحديثة قولها ، ودعنا نكف عن مناقشة المبادىء الأولية فى المسيحية ـ كلام بداءة المسيح ـ ولا يجب أن نضع من جديد أساس الايمان بالله والتوبة فى موات طرقنا القديمة ـ الاعمال الميتة ـ بواسطة التعليم عن طقوس التطهير ـ المعموديات ـ ووضع الأيادى ، عن القيامة من الأموات والدينونة الأبدية ولكن فلنتقدم الى الكمال ، وهذا ما سنفعله ان اذن الله · لأنه ان لم يتقدم هؤلاء الشهود المسيحيون فيما وراء هذه الحدود ، فانهم فى خطر من الارتداد الى ايمانهم القديم ·

وفى هذه الفقرة الصعبة ، يعدد القديس بولس حالات الارتداد التى يراها محتملة الوقوع ، والتى لم تتجاوز مرحلة الظن والغرض الى الواقع الفعلى · ومن الواضح أن هذه الحالات لها صورتها الظاهرة أو الشكلية فى خبرتهم الدينية الخاصة · وقد نكصوا

على أعقابهم بالنسبة لأيمانهم الحقيقى ، والذى تشير اليه الكلمات : استنيروا ، ذاقوا وصاروا شركاء الروح القدس ، ولعل هذه العبارات توحى لنا بأنهم لم يرتدوا عن أيمانهم بالمعنى المفهوم للكلمة ، ولكنهم بالحرى اتكلوا واعتمدوا على اختباراتهم الروحية التى كانت سائدة بين المسيحيين الحقيقيين · على أى حال ، فالنقد الموجه اليهم يفيد أنهم لم يتبعوا النور الذى اقتنوه ، ولم يتابعوا خبرتهم فى نعمة الله بمعنى أنهم لم ينموا فى هذه النعمة · ولو فشل هؤلاء الناس وسقطوا من ايمانهم بالمسيح ، فمعنى هذا الرفض الصريح ليسوع باعتباره المسيا وفى هذه الحالة يتساوون تماما مع الذين صلبوه على الجلجثة ·

ولكن المؤمنين الثابتين فى المسيح ، الذى يظهرون ثمار أيمانهم فى أعمال الطاعة وتعب المحبة ، لا يمكن أن يتعرضوا لهذا الخطر ، لان بر الله يحفظ علاقتهم به ثابتة بلا تحول أو تغيير وبالتالى يجازيهم عن ثباتهم ويقينهم فى يوم الدينونة الأخيرة ·

+ ولكننا نشتهى ان كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهاية لكى لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالايمان والاناة يرثون المواعيد (عب ٦ : ١١ ـ ١٢) ·

عهد أفضل

(عب ٨)

بالنسبة لليهود لا ينبغى أن ينظروا الى المسيحية كأنها ديانة جديدة ، بل بالحرى تحقيقا ووفاء للعهد القديم فالعهد الجديد ـ فى واقع الأمر ـ هو تنفيذ واستيفاء العهد القديم ، وفى شخص المسيح تتحقق كل ذبائح وطقوس وكهنوت العهد القديم · ولكن

الفكرة الخاصة التى اخطأتها اذهان المسيحيين اليهود هى الحضور الظاهر لرئيس الكهنة وعمله ونشاطه فى وسطهم · وقد كانت بالفعل روحانية الأيمان المسيحى وكهنوته هما الأختبـار العملى لأيمانهم فالمسيح قد صار رئيس كهنةالعهد الجديد ، ولكنه غير منظور ، ويبدو وكأنه بعيد عنهم : فانه لو كان على الأرض لما كان كاهنا (عب ٨ : ٤) ولكن كل عمل المسيح من أجل البشر كان على مستوى أعلى من الأرضيات ، فقد كانت خدمة الخلاص خدمة روحية تتعلق بالسماويات ، وليس ظلها ، فقد مات على الارض ، ولكن قوة وفاعلية موته انما تنبع من السماء ·

هذا يصدق بلا شك على خدمة الفداء ، اذ قدم نفسه ذبيحة كاملة كافية تحققت فيها كل الذبائح الاخرى ونتيجة لذلك أبطلتها وأوقفتها · ومن الحق أيضا عن خدمة المسيح القائمة فى الوقت الحاضر ، أنه لا يخدم فى هيكل ارضى بل فى المقدس السماوى · وهو يقوم بهذه الخدمة فى ظل عهد جديد ، الذى كان العهد القديم ظلا له ورمزا · وقد أشار ربنا يسوع المسيح الى هذه الحقيقة على مائدة العشاء السرى · دمى الذى للعهد الجديد (مت ٢٦ : ٢٨) وبالنسبة لذلك فهو الوسيط ـ أى من خلاله تأتى بركاته ونعمته للبشر · والعهد الجديد يعطى وعودا أكثر بالبركة ـ اكثر مما كان يسمح به العهد القديم · وقد رأى ارميا النبى فى رؤياه التى تحدث فيها عن العهد الجديد العتيد أن يعقده الله مع شعبه · ان الله ينشىء علاقة بين شعبه وبينه بحيث تكون هذه العلاقة روحية باطنية، وليست مجرد شكلية أو طقسية (ار ٣١ : ٣١ ـ ٣٤) وبهذا يصبح الدافع الى الطاعة ، ليس مصدره الناموس الخارجى ، بل ناموس مكتوب فى القلوب والعقول ، انه حركة المعرفة الروحية والمحبة الروحية · وهذا يجعل سلطان العهد الجديد متاحا لجميع الناس ومؤثرا فعالا فى حياتهم ، وليس قاصرا على الهيود فقط ·

وحيث أن هذه العلاقة الجديدة قد تفوقت على العهد القديم ، فقد بليت وعتقت ممارسات العهد القديم · فاذا قال جديدا عتق الأول · وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال (عب ٨ : ١٣) اذا فاليهودية القديمة بالنسبة للمسيحية لا تزيد عن كونها ظلا للجوهر ، ومن أجل هذا السبب كان من العبث أن يحوم أولئك المسيحيون الأول حول تلك الأركان القديمة ·

هيكل جديد

(عب ٩ : ١ - ١٤)

مازالت المقارنة بين القديم والجديد تشغل ذهن الكاتب ليعرضها من زاوية جديدة فهو يكتب كما قلنا لليهود المتنصرين الذين يعرفون جيدا طقوس الأيمان القديم ، ولكن الشكوك بدأت تساورهم وتهاجمهم من أطراف متعددة حول روحانية الأيمان الجديد ـ ويخلص من هذه المقارنة الى أن الهيكل الجديد ، المسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذى ليس من هذه الخليقة ، ليس مسكنا أرضيا بل قدسا سماويا مما يشير الى امتياز وقوة كهنوت المسيح من أجلهم ·

كان الهيكل اليهودى مزودا بكل ما كان ينقل الى المصلين كيفية الاقتراب الى الله ، وكان عليهم أن يطيعوا ويتبعوا الارشادات الدقيقة الخاصة قبل أن يصلوا الى بغيتهم ، وبالرغم من كل هذا ـ بما فيه من تفاصيل متعددة وأدوات وأوانى ـ فلم يكن هناك سوى رجل واحد) رئيس الكهنة ـ يسمح له بالدخول الى الحضرة الألهية فى القدس الداخلى أى قدس الأقداس وراء الحجاب ، ولا يسمح له بهذا الدخول سوى مرة واحدة فى السنة · فى يوم الكفارة · وفى

هذا اليوم الذى يسمح له بالدخول ، لا يجوز له الدخول بدون دم الذبيحة الذى يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب · تقييد حق الدخول الى الحضرة الالهية بحيث ينحصر فى شخص رئيس الكهنة يعنى أن هذا الترتيب يمكن أن يلغى أذا جاز دخول الجميع الى قدس الاقداس ·

وبالاضافة الى ذلك ، فالفاعلية الحقة لهذا الطقس كانت محدودة الى أقصى حد لأنها لم تكن تنعم على العابد ببركات الغفران والسلام · لقد كانت مجرد ظل للحقيقة الاتية ، موضوعة الى وقت الاصلاح ·

وعندما أطاع المسيح حتى موت الصليب ، وتألم ومات من أجل الخطاة ، فقد أعلن بذلك أنه رئيس الكهنة الحقيقى · وباعتباره رئيس الكهنة فقد دخل الى المقدس الأعظم ، الى حضرة الله ذاته ليجعل من نفسه ذبيحة وتقدمه : فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح ازلى قدم نفسه لله بلا عيب ·· (عب ٩ : ١٤) ولكنه لم يدخل بدم تيوس وعجول ، ولكن بدم نفسه ولا يعنى هذا بالطبع أنه ـ حرفيا ـ أخذ دمه الى السماء ، ولكنه يعنى أنه دخل قدام الله بسبب ذبيحة نفسه ، وفى هذه الحالة يشير الدم الى كل عمل المسيح فى الفداء ، واذ قدم نفسه مرة ـ كما فعل فى الجلجثة ـ فانه حصل على فداء أبدى من أجل الخطاة ـ والفداء من الخطية مضمون بقيمة الفدية التى دفعها أى حياته الطاهرة بلاخطية مما جعل مفعول هذه الفدية ساريا ونافذا الى الابد ·

وذبيحة المسيح التى قدمها لله الاب تقدمة روحية لها اثرها الفعال فى حياة الانسان الشخصية ، بطريقة لم تكن فى مقدور الذبائح القديمة الدموية · أما ذبيحة المسيح فهى تنقذ الأنسان من سلطان الخطية ، وتعطيه القوة لخدمة الله بحياة طاهرة وجديدة : يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى · ولاجل هذا هو وسيط عهد جديد (عب : ٩ : ١٣ ـ ١٤) ·

وبهذه الطريقة يشجع الرسول من آمن من اليهود على التخلى عن التشبث بالظلال ورموز الأيمان القديم ، لكى يمسك بالحقيقة ويحافظ عليها ٠

الوسيط القدير

(عب ٩ : ١٥ – ٢٨) ..

وامتياز العهد الجديد على القديم لايزال فى دائرة الضوء فى هذا الفصل ٠

ولما كان الرب يسوع المسيح قد أدى دور الكاهن كما قام بدور الذبيحة فى نفس الوقت عندما تمم بذبيحة نفسه عمل المصالحة بين الله والخطاة على الجلجثة ، فانه يقوم الان بدور وسيط العهد الجديد وشفيعه التى يمد بركاته الى البشر ٠ وبمقتضى حقه كوسيط يضمن للجميع – جميع الذين يتعاملون معه ، الحصول على الميراث الذى ختمه بموته الاختيارى : ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد ، لكى يكون المدعوون – اذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الاول – ينالون وعد الميراث الابدى (عب ٩ : ١٥) ٠

ومن المألوف فى عرف الانسان أن الوصية لا يسرى مفعولها حتى بموت الموصى ، ولهذا كان من الحق أن يصبح موت المسيح ضرورة محتومة لأطلاق بركات العهد الجديد ، ويتأكد صدق هذه الحقيقة اذا نظرنا الى العهد القديم حيث نجد أن التطهير لا يقوم بالنسبة للكاهن أو العابد بدون رش الدم ، وعن هذا الطريق يعلم الجميع الحقيقة العظمى التى تقوم عليها شريعة التطهير وعمل الفداء : **بدون سفك دم لا تحصل** مغفرة ، وكل شىء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم ، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) ٠

وفى الجانب المقابل من العهد الجديد ، ترتفع كل الاشياء الى مستوى أرفع ، مستوى الحقيقة الروحية فربنا يسوع المسيح ، لم يدخل الى مقدس المسكن الأرضى ، ولكنه دخل الى السماء عينها ليظهر فى حضرة الله الاب ذاته من أجلنا ، لان المسيح لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة ، بل الى السماء عينها ليظهر الان أمام وجه الله لأجلنا (عب ٩ : ٢٤) وفى هذه التقدمة الوحيدة وضع نهاية لجميع الذبائح ، حيث أنه بذبيحة نفسة قد أبطل الخطية فعلا والى الأبد أى قضى عليها تماما ٠

ولكن لابد أن يكون هناك ظهور آخر للمسيح فى المستقبل ، لا ليحارب الخطية ـ لانها أبطلت ـ بل ليكمل الى الابد خلاص الذين مات من أجلهم ، اذ يحضرهم ـ جسدا وروحا ـ قدام الله ٠

الذبيحة المقبولة

(عب ١٠ : ١ ـ ٢٥)

ويواصل الكاتب مقارنته بين ظلال الطقس فى العهد القديم ، وبين الحقيقة الجوهرية فى بركات المسيح لنا ٠ وعلى أحسن الفروض فان العهد القديم وعد ببساطة أو تنبأ عن الحقيقة العتيدة أن تستعلن ٠ الا أن هذه الظلال ـ فعلا ـ لم تعالج الخطية فى ذاتها ، ولا الشعور بالذنب الذى يرهق ضمائر الخطاة ٠ ومن هنا كانت الضرورة تحتم تكرار هذه الذبائح باستمرار ٠

ولكن ذبيحة المسيح قد أوفت بجميع المطالب التى أشارت اليها ذبائح العهد القديم ، اما الذبائح المذكورة فكانت فاعليتها مؤقتة ، فقط لان الله الذى رسمها رأى فيها انعكاسا لذبيحة ابنه الوحيد ٠ والعهد القديم نفسه قد وعد حقا بهذه الحقيقة لكى تحل محل الظلال ، لذلك عند دخوله الى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لى جسدا (عب ١٠ : ٥) اما الان فتقدمة جسد الرب

يسوع المسيح مرة واحدة والى الأبد ، أى وضع ناسوته الكامل على مذبح الجلجثة من أجلنا ينزع الخطية ، وبالتالى من خلال هذه الذبيحة نتقدس حتى نستطيع أن نقترب الى الله ٠

ونتيجة لهذه الذبيحة المكملة ، يجلس الان ربنا يسوع المسيح ممجدا فى عرشه السمائى منتظرا ثمار غلبته وانتصاره ٠ وهو يجلس هناك علامة على أن ذبيحته الفدائية قد اكملت وجلوسه عن يمين الله كناية عن أن عمله الفدائى قد لاقى قبولا كاملا ، وأما هذا فبعد أن قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة ، جلس الى الابد عن يمين الله (عب ١٠ : ١٢) وفى الوقت المعين من قبل الله ، سوف يوهب النصرة الكاملة على كل معارضيه ومعانديه : منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئا لقدميه (عب ١٠ : ١٣) ٠

+ لذلك رفعه الله ايضا ، وأعطاه أسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الارض ومن تحت الارض ٠ ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الاب (فى ٢ : ٩ ـ ١١) ٠

وبناء على ذلك لم تكن هناك حاجة بعد لقربان عن الخطية لان الخطية التى أبطلها الرب بذبيحة نفسه قد طرحها الله فى زوايا النسيان ولا يعود يذكرها أو يراها ٠

ومن حق المسيحيين الان أن يستغلوا هذه الحقوق التى منحت لهم الى أقصى درجة ممكنة ٠ وفى جرأة الايمان ، وملء اليقين يمكنهم الان أن يمثلوا فى حضرة الله ٠ وهم يقتربون الى الله بطريقة جديدة ، من حيث أنها تتميز عن الذبائح القديمة ، طريقة حية ، تمييزا لها عن الأعمال الميتة للطقس القديم ، وتكتسب هذه الطريقة خاصية الحياة والجدة من أنها تتم من خلال جسد الرب يسوع المكسور ـ الفاعلية الدائمة لذبيحة نفسه ـ كما أنها تستمد حيويتها من أنه هو رئيس الكهنة الحى الان : وكاهن عظيم على بيت الله

(عب ١٠ : ٢١) ولذلك فالمؤمنون المسيحيون لا حاجة بهم أن يقفوا بعيدا عن أبيهم السماوى ، فقد حصلوا على حق الاقتراب اليه بالأخلاص والثقة ، ولايعطيهم وسيلة التقرب الى الله فقط بل يعطيهم أيضا وسيلة الاقتراب الى اخوتهم من بنى البشر ٠

وهكذا نرى ان القديس بولس ـ على مدى هذه الرسالة ـ يعمل على رفع ايمان العبرانيين المسيحيين بحيث يتجاوز كل الشكليات الأرضية الى مستوى الحقيقة والوجود فى الحضرة الالهية ٠

الفداء
في رسائل القديس يوحنا

الفداء
فى رسائل القديس يوحنا

فى رسائل القديس يوحنا وفى سفر الرؤيا نلاحظ صفة شائعة يتميز بها تعليم القديس يوحنا عن الفداء ، فهو يربط دائما ما بين موت المخلص وبين الخطية ثم أبطالها من حياة المؤمنين ، وبتعبير آخر نقول أن القديس يوحنا يعطى التطبيق الأخلاقى للحق بينما – وفى الانجيل الذى يحمل أسمه – كان يقدم عرضا تاريخيا ٠

اللّه نورٌ

((يو ١ : ٥ – ٢ : ٢)

عندما يعلن القديس يوحنا أن الله نور ، فهو يعنى بذلك أنه يعلن قداسة طبيعة الله ، وطهر ونقاء شخصة ٠ والسلوك فى النور يعنى أن نحيا فى طاعة وصية الله وهكذا ننمو فى قداسة السيرة ، وسلوكنا فى الطاعة على هذه الصورة تترتب عليه نتيجتان : انه يأتى بنا الى الشركة مع الله ، والشركة مع القديسين ، شعبه ، كما أنه يفضح الخطية بحيث نلجأ الى دم المسيح للتطهير ٠

+ ولكن ان سلكنا فى النور ـ كما هو فى النور ـ فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (ايو ١ : ٧) ٠

وفعالية الدم أى ذبيحة المسيح تتضح اذا نظرنا اليها كمجرى ينساب دوما والى الابد يطهر من الخطية ، وهو يعالج الخطية علاجا فعالا سواء من حيث نجاستها أو من حيث قوتها ، أما انكار وجود الخطية كما كان ينادى بعض المفكرين فى أيام يوحنا ـ فهو لا يخرج عن كونه خداع للنفس ، بينما الاعتراف بالخطية والأقرار بالذنب يجلب للمعترف بركة الغفران ، بالاضافة الى بركة التطهير . لأن الغفران بدون تطهير يعنى ـ بالنسبة لله ـ أنه يسخر من احتياجنا ، وهذا لا يتفق مع شخص الله الذى يؤكد لنا عكس ذلك ٠

+ ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ٠ ويطهرنا من كل اثم (ايو ١ : ٩) ٠

الا أن الغفران المجانى الكامل ، ليس ترخيصا بارتكاب الخطية لان الله لا يسمح لأى انسان أن يخطىء . ولكن اذا ماغلبنا من الخطية ، فلا ينبغى أن نسقط فى هوة اليأس لان لنا شفيع يدافع عن قضيتنا فى السماء ، ويقف نصيرا لنا ، وكلمة « المعزى » فى اليونانية تعنى فى الواقع ، دعوة شخص ما للوقوف فى جانبنا يقدم المعونة ، وهذا بالضبط هو الرب يسوع المسيح بالنسبة لنا ٠ فهو بار ويعمل بالبر من أجلنا ، لانه هو نفسه قد حقق كل الشروط التى يتطلبها غفران خطايانا ، وأعطانا السلطان أن ندعو باسمه ،

لانه مازال هو فداؤنا وشفيعنا فى نظر الله ، لأنه هو الواحد الوحيد الذى يواصل عمله فى احتمال العقوبة التى تستحقها خطيتنا ، واحتمال الغضب الذى تجلبه علينا هذه الخطية وليس هناك شىء يستعصى على المصالحة التى عقدها المسيح ، فهى متاحة للعالم كله٠

+ وهو كفارة لخطـايانا ٠ ليس لخطـايانا فقط بل لخطـايا كل العـــالم ايضـــا (ايو ٢ : ٢) ٠

وهنا ينكشف أمامنا فى وضوح الدور الفعال الذى تقوم به ذبيحة المسيح فى حياتنا الشخصية فهى تفضح وتشهر الخطية ، ولكن اذا ما اعترفنا بالخطية ، فذبيحة الفداء تحقق جانب الغفران والتطهير ٠ فمن الحقائق الملحوظة أن أعظم القديسين كان يمارس حياة التوبة والندم طيلة حيـاته ، يعترف بخطيته ويحصل على التطهير ويجب أن نلاحظ هنا أن الغفران لا يقلل من شأن الخطية ، لان تكلفة الغفران ونفقته يشهدان بأن مثل هذا الظن فكر باطل ٠

المحبة

(ايو ٤ : ٧ – ٢١)

مع ان حقيقة محبة الله تدخل فى نسيج رؤية العهد القديم كله ، الا أنها كانت تحتاج الى مجىء الرب يسوع المسيح وموته لكى يعطيها التعبير الصـادق الكفء ، وهذه الحقيقة كفيلة بأن تبطل ذلك المفهوم السىء أو المغلوط الذى كان يظن أن الهدف من موت

المسيح هو أن يجعلنا محبوبين لدى الله · فالعكس هو الصحيح ، لان محبة الله هى التى أرسلت ابنه الى العالم حتى تكون لنا به الحياة الابدية ·

+ بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد الى العالم لكى نحيا به (ايو ٤ : ٩) ·

والمحبة ـ بحكم طبيعتها ـ تلتمس طريقا للتعبير عن نفسها ، تماما كما تحاول عين الماء أن تجد مخرجا لها ، وقد وجدت محبة الله مثل هذا التعبير حتى أننا نستطيع ان نقول بلا تردد : فى هذا هى المحبة (ايو ٤ : ١٠) وعندما كنا غير محبين أو محبوبين أعطى الله استعلانه العظيم لحبه لنا · وهذا فى حد ذاته يشكل آية الانجيل العظمى · ولكنه كان هو الحب المقدس الذى لا يستطيع أن يعالج الخطية الا من خلال الفداء والشفاعة · وقد قام الحب بتدبير هذا الفداء وانجاز هذه الوساطة · وهذه هى صورة الحب الالهى فى اتساعه وفى قداسته ·

وهذا الحب الالهى هو مصدر وأساس كل حب حقيقى فينا ، ومن هنا كان الهامنا أن يحب كل واحد أخاه ·· وعندما يضع الانسان يده على مذبح الحب الالهى ، فان اليد الاخرى توضع على قلب الأخ حتى يبدو أننا مسوقين من محبة الله · ونحن ـ كمسيحيين شهود لهذا الاعلان العظيم عن محبة الله ، لاننا نشهد أنه أرسل ابنه الوحيد مخلصا للعالم كله ·

+ ونحن قد نظرنا ونشهد أن الاب قد أرسل الابن مخلصا للعالم (ايو ٤ : ١٤) ·

ولعل هذه هى المرة التى يرد فيها هذا التعبير بهذا النص ، باستثناء ماجاء فى انجيل معلمنا يوحنا ·

+ **لاننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العـــالم** (يو ٤ : ٤٢) ٠

لان هذا التعبير يفتح الباب لامكانيات بلا حدود فى دائرة الخلاص النهائى ٠ وهى تصور مستقبلا رائعا وعظيما بالنسـبة للعالم من حيث تجديده النهائى وشـفائه من انتهاكات ومثـالب الخطية ، ونحن نعتقد أنه قبل نهاية العالم ، لابد وأن يثبت ربنا يسوع هذا اللقب ويبرره ـ مخلص العالم ـ فى اتمام خلاص العالم كحقيقة نهائية ٠ ومع أن الكثير سوف يضيع ويهلك ـ لأن عدم التوبة حقيقة قائمة أيضا ـ ولكن كما يحدث لابد أن تقطع الفروع العقيمة والعارية للحريق ، الا أن الشجرة نفسها ستخلص ٠

ونحن الذين نحمل اسـمه وختمه علينا أن نشـارك المسـيح اتجاهه نحو العالم كله ، نكره خطيته ، ونسعى لخلاصه واثقين أنه لا يليق أن نتركه نهبا للخطية يعيث فيه الشيطان فسادا ٠ وقد وهبنا الله عطية الرجاء الواثق المجيد ، لانه قد أعطانا من روحه ، وبالتالى فهو يثبت فينا ونحن نثبت فيه ٠

الغلبـة على العـالم

(١ يو ٥ : ٤ - ٩ ويو ١٩ : ٣١ - ٣٧)

فى الدراسة السابقة عرض علينا القديس يوحنا شخص ربنا يسوع باعتباره مخلص العالم ، أما هنا فهو يقدمه لنا من حيث أنه قد غلب العالم ٠ فى الحالة الاولى ـ مخلص العالم ـ كلمة

العالم تشير الى البشر · ولكنه فى الحالة الاخيرة الذى غلب العالم ـ فكلمة العالم تدل على الشر الأدبى ، والحوار هنا يقوم على أساس أن المسيح فى موته وقيامته قد أعلن ظفره وانتصاره على قوات الشر ، وعلى ذلك فكل الذين ارتبطوا به بالأيمان لهم حق الشركة فى انتصاره وغلبته · ويتحدد تعريف النصرة عنا فى أطار الايمان ، وتعريف الايمان يقوم على الاعتقاد بان يسوع هو ابن الله ·

+ **وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم : ايماننا · من هو الذى يغلب العالم الا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله** (ايو ٥ : ٤ ـ ٥) ·

فاذا كنا نؤمن أن يسوع المسيح هو بالحقيقة ابن الله ، فالعالم وكل ما يمثل العالم لن يتجاوز مكانه الصحيح وحدوده الحقة ·

ثم ينتقل القديس يوحنا الى حقيقتين من الوقائع التاريخية فى حياة المسيح معموديته فى نهر الاردن ، وموته على الصليب ـ وبناء على هاتين الواقعين يؤكد أن المسيح قد جاء بالماء والدم · فى عماده بدأ حياة الخدمة بأن سوى نفسه ووحدها مع الانسان الذى جاء من أجل خلاصه ، وفى موته أكمل ذلك العمل ، عمل المشابهة والمصالحة ولابد لنا أن نضع نصب أعيننا أن القديس يوحنا ربط فى انجيله بين الماء والدم (يو ١٩ : ٣١ ـ ٣٧) وهذا يقودنا الى الاعتراف بانه كان يربط فى ذهنه الفعالية المزدوجة لعمل المسيح : الكفارة والتطهير · ولعل هذه أو تلك كانت موضوعا للجدل والخلاف فى أيام يوحنا بين أصحاب المدارس الفكرية المختلفة · وليس لدينا أدنى شك فى قوة وفاعلية موت المسيح فى

الكفارة وفى التطهير · وقد شـهد الروح القدس لهـذه الحقيقة ومازال يشهد ·

ورواية القديس يوحنا فى الانجيل تقدم لنا ظاهرتين صاحبتا موت المسيح ـ أن عظما من عظامه لم يكسر ، وأن جسده قد طعن بالحربة ـ وان هاتين الظـاهرتين حدثتا تحقيقا لنبـوات العهـد القـديم ·

+ **وعظمـا لا تكســروا منــه** (خر ١٢ : ٤٦)

+ **فينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه ، كنائح على وحيد له** (زك ١٢ : ١٠)

فالظاهرة الاولى تشبه المسيح بحمل الفصح ، والثانية تضفى عليه صورة العبد المتألم · والمعنى الروحى فى الظاهرتين يمكنا أن نتمثله فى موت المسيح الذى لم يؤدى الى كسر أو تمزيق فى الكنيسة التى هى جسده ، بل صار القوة العاملة والدامغة للبشر لكى يتوبوا ويندموا على أزمنة الجهل · ويؤلف بين هؤلاء الناس فى كنيسـته ·

السـفر المختـوم

(رؤ ٥)

أن الكتاب أو السفر ـ الذى رآه القديس يوحنا ـ يحمل سبعة ختوم ، من المحتمل أنه كان شيئا ما من طبيعة الوصية أو العهد الأخير ـ ومن الواضـح أنه كان يحمل فى طيـاته حقائق تخص المستقبل الذى لم تصل اليه معرفة الانسان بعد · وقد بكى يوحنا

كثيرا لأن الافكار القائمة قد راودته بحيث يظن أن هذا العهد لن يتمكن أحد من معرفة أسراره وبالتالى فلن يوضع موضع التنفيذ · ولكنه حصل على تأكيد بأن الاسد الخارج من سبط يهوذا ، أصل داود قد غلب ، وبسبب نصرته قد حصل على حق فتح السفر وقراءته ، وقد صار له السلطان أن ينفذ مضمونه ومحتواه ·

ولكن الذى رآه يوحنا لم يكن أسدا ، بل حملا صغيرا ، له مظهر الذبيحة ـ مذبوح ـ ولكنه يقف حيا فى وسط العرش ، له كل العلامات التى تدل على قوته الكاملة سبعة قرون ـ وحكمته ـ المطلقة ـ سبعة عيون ـ ومن الملاحظ أنه عندما أمسك الخروف ـ القائم وكأنه مذبوح ـ بالسفر لكى يفك ختومه ويعلن رسالته أن هناك كانت جوقة من السمائيين تنشد لحن الرضا والتعبد ، وتلقف الوجود كله هذه الأنشودة لكى ينضم الى تلك الجوقة ، ويضم تسبحته هو الى نشيدهم ·

+ **قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة ·**
وكل خليقة مما فى السماء وعلى الارض وتحت الارض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة : **للجالس على العرش وللخروف البركه والكرامة والمجد والسلطان الى أبد الآبدين**
(رؤ ٥ : ١٢ ـ ١٣) ·

ومن الواضح أن كلا من الأسد والخروف يرمزان الى شخص المسيح · وفى سفر الرؤيا الاسد يأتى اولا ، ولكن الخروف بعد ذلك يشغل المسرح تماما · ولعل القديس يوحنا تحت تأثير هذه الصورة الذهنية كان يتعرف للمرة الاولى على وجود يسوع

الناصرى من حيث أنه المسيا رجاء اسرائيل (يو ١ : ٣٥ ـ ٣٧) وتظل هذه الرؤية تلازمه ولا تفارقه ولا تخفى عليه الان دلالتها أو معنـاها ٠

وهناك أيضا تلك الحقيقة التى تدعو الى العجب ٠ فمع أن الخروف كان حيا ونشيطا يقف فى وسـط العرش ، الا انه كان لايزال يحمل سمات الموت ـ قائم وكأنه مذبوح ٠ وهكذا ينكشف لنا أن الخروف ـ بسبب ذبيحته الفدائية ـ قد عهد اليه أن يفتح السفر ويذيع مكنوناته وينفذ ويحقق مشيئة الله ٠ هذا البرنامج مازال قائما ، وقد وضع موضع العمل والتنفيذ بانجيل الصليب ٠

ولا نعدو الحقيقة اذا فسرنا هذا المنظر بأنه تعبير تصويرى للحقيقة النهائية فى هذا الوجود ، والتى تتمثل فى الحب الكفارى أو الفـادى الذى يجب أن تترنم به الاناشـيد وتشـيد به المدائح والتسابيح بحيث يصبح كل ما عداه أمرا ثانويا ٠

الخـروف المذبوح .. راعيًا

(رؤ ٧ : ٩ ـ ١٧)

لا يخفى على القارىء دلالة الفصول والمشاهد الختامية فى سفر الرؤيا حيث نجد الخروف دائما على العرش مع الله ضابط الكل ٠ ويصف ميلتون ، الشاعر الانجليزى : فى ملحمته الشعرية الفردوس المفقود هذا المنظر فيقول : على العرش وجها لوجه فى لاهوت متساو ٠

أما المفديون من بنى البشر فنراهم فى السماء ظافرين ، وقد وقفوا أمام عرش الله والخروف ، وقد ازدانوا بعلامات النقاوة ـ الثياب البيض ـ والانتصار ـ سعف النخل ـ وفى هتاف الشكر والتسبيح ينسبون خلاصهم الى الله والخروف ، وبتعبير آخر يرجعون فضل خلاصهم الى الله من خلال يسوع المسيح مخلصهم ٠

وقد وصف الجمع الكثير المتسربلون بالثياب البيض بأنهم أولئك الذين أتوا من الضيقة العظيمة ، ولسنا فى حاجة الى أن نضعهم فى فترة معينة من فترات الكنيسة ، ولكن لعل الافضل أن نقبل هذه الصورة على أنها تمثل حالة عامة تنطبق على كل الذين يشهدون ويتألمون من أجل مخلصهم ٠ **وقد غسلت ثيابهم ، ليس فى الضيقة ، بل فى فعالية ذبيحة الخروف : وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف** (رؤ ٧ : ١٤) وبيضوا ثيابهم يعنى أنها كانت ملطخة بالخطايا والآثام ولكنها فى دم الخروف قد زالت الخطية وآثارها تماما ٠

وأهم الملامح التى تسود المنظر هو أن الجالس على العرش يضفى حضوره على كل شىء ٠ **والترجمة الحرفية للنص يقول يحل عليهم بنور وجهه** ـ الشاكيناه ـ اشارة الى نور قدوس القديسين فى الهيكل ٠ وجميع الوان الشظف والحرمان التى تعرضوا لها فى رحلتهم قد انتهت وعبرت لتحل محلها الراحة الكاملة فى موضع يتصف بالكمال أيضا ٠

ومن الجدير بالملاحظة أن نرى الخروف مازال هو الراعى الذى يعنى بهم ويرعاهم خلال الحياة الابدية ، ويعطى شبعا كاملا للقلب والذهن ٠

+ **لان الخروف الذى فى وســـط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم** (رؤ ٧ : ١٧)

والراحة السمائية لا تعنى السكون أو الجمود بل هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا فى هيكله · انه الكمال ولكنه كمال ينمو ويتطور ويتزايد بالقضاء على كل المعوقات التى تقف فى طريق نموه وحركته · ومهما كان ادراكنا محدودا لما يحدث بالضبط ، ولكننا نفهم أنه يعبر عن نجاح وتقدم متواصل يتفق مع الطبيعة الروحيـــة للمفديين ·

فهـــــرس

صفحة

١ ـ الذبيحة فى العهد القديم ٩

ـ ذبيحة هابيل (تك ٤ : ١ ـ ١٦) ١٢

ـ ذبيحة اســحق (تك ٢٢) ١٣

ـ خروف الفصح (خر ١٢) ١٥

ـ التقدمة والرجوع الى الله (لا ١ ـ ٧) ١٨

ـ الذبيحة المزدوجة (لا ١٦) ٢٠

ـ ابتذال الذبيحة (أر ٧) ٢٢

٢ ـ الفداء فى العهد القديم ٢٧

ـ مدن الملجأ (عد ٣٥ : ٩ ـ ٢٨) ٣٠

ـ سنة اليوبيل (لا ٢٥) ٣٢

ـ الخلاص من أرض العبودية
(خر ٦ : ٢ ـ ٩ و ١٥ : ١٣ ـ ١٨) ٣٤

ـ فداء البكر (خر ١٣ : ١ ـ ١٦) ٣٦

ـ الخلاص من السبى البابلى
(أش ٥١ : ٤ ـ ١١ و ٥٢ : ٣ ـ ١٢) ٣٧

ـ الفداء والنصرة على الموت (مز ٤٩) ٣٩

صفحة

٣ ـ **الألم والمعـــاناة** ٤٣

ـ العبد المتـألم (مز ٢٢) ٤٦

ـ الألم والايمان بالله (مز ٦٩) ٤٩

ـ أيوب وحيـاة الألم (أى ٢٩ و ٣٠) ٥١

ـ أرميـــا تحت الالام

(أر ١١ : ١٨ ـ ٢٣ و ٢٠ : ١ ـ ١٨) ٥٣

٤ ـ **الفداء العظيم فى الكتاب المقدس** ٥٧

ـ وظيفة الألم (أش ٥٠ : ٤ ـ ٩) ٥٩

ـ الألم بالنيابة (أش ٥٢ : ١٣ ـ ٥٣ : ١٢) ٦١

٥ ـ **خدمة الخلاص فى تعليم المسـيح** ٦٧

ـ العريس يرفع (لو ٥ : ٣٣ ـ ٦ : ١١) ٦٩

ـ خبز الحيـاة (لو ٦ : ٣٥ ـ ٧١) ٧١

ـ فى طريق قيصرية فيلبى

(مر ٨ : ٢٧ ـ ٩ : ١ و ٣٠ ـ ٣٢) ٧٤

ـ دخـــول الســحاب

(مر ١٠ : ٣٢ ـ ٤٥ + لو ١٢ : ٤٩ ـ ٥٣) ٧٦

ـ قوة الصليب (يو ١٢ : ٢٠ ـ ٣٦) ٧٩

ـ الفصح الأخير ٠٠ والعهد الجديد (لو ٢٢ : ١ـ٢٣) ٨١

ـ من العلية الى البستان (لو ٢٢ : ٢٤ ـ ٥٣) ٨٣

ـ الصليب (مت ٢٧ : ٣٢ـ٥٤ + يو ١٩ : ٢٨ـ٣٠) ٨٦

صفحة

٦ ـ الفداء فى تعليم الرسل ٨٩

بطرس الرســـــول ٩١

ـ الوعد (أع ٣ : ١٣ ـ ٢٦) ٩٢

ـ الكرازة بالصليب

(أع ٤ : ٢٣ ـ ٣١ و ٥ : ٢٧ ـ ٣٢) ٩٣

ـ دم المسـيح الثمين (ابط ١ : و٢و١٠ـ٢١) ٩٥

ـ به نقترب الى الله

(ابط ٢ : ١٨ ـ ٢٥ و ٣ : ١٣ ـ ٤ : ٢) ٩٧

بولس الرســـــول ٩٩

ـ بر الله (رو ٣ : ١٩ ـ ٢٦ و ٥ : ٦ ـ ١١) ١٠٠

ـ الحب المتبـادل (٢ كو ٥ : ١١ ـ ٢١) ١٠٢

ـ الخطية واللعنة (غل ١ : ١ـ٥و٣ : ١ـ١٤) ١٠٣

ـ القريب والبعيد (أف ٢ : ١١ ـ ٢٢) ١٠٥

ـ المســـيح مخلص الجميع

(اتى ٢ : ١ـ٧ و تى ٢ : ١١ـ١٤) ١٠٧

٧ ـ الرسالة الى العبرانيين ١١١

ـ نضوج الايمان (عب ٥ : ١١ ـ ٦ : ١٠) ١١٤

ـ عهـــد أفضـــل (عب ٨) ١١٥

ـ هيكل جـــديد (عب ٩ : ١٤) ١١٧

صفحة

ـ الوسيط القدير (عب ٩ : ١٥ ـ ٢٨) ١١٩

ـ الذبيحة المقبولة (عب ١٠ : ١ ـ ٢٥) ١٢٠

يوحنا الرسول ١٢٣

ـ الله نور (ايو ١ : ٥ ـ ٢ : ٢) ١٢٥

ـ الله محبة (ايو ٤ : ٧ ـ ٢١) ١٢٧

ـ الغلبة على العالم

(ايو ٥ : ٤ ـ ٩ ويو ١٩ : ٣١ ـ ٣٧) ١٢٩

ـ السفر المختوم (رؤ ٥) ١٣١

ـ الخروف المذبوح ٠٠ راعيا (رؤ ٧ : ٩ ـ ١٧) ١٣٣

كتب للمؤلف

تطلب من مكتبة التربية الكنسية

بكنيسة الشهيد العظيم مارجرجس ـ ش خماروية بشبرا ـ مصر

أ) من كتـابات الاباء

١ ـ الله والمال العلامة اكليمنضس الاسكندرى
(يشمل خلاص الغنى)

٢ ـ رسالة الى الشهداء العلامة اوريجانوس

٣ ـ الروح القدس (جزء أول) للقديس امبروسيوس

٤ ـ الصـــــلاة العلامة اوريجانوس

٥ ـ البنيان الروحى للقديس امبروسيوس

ب) قصص للروائى الروسى تولستوى

١ ـ العجـــوزان

٢ ـ ينبوع الحيـــاة

٣ ـ الناســـك

٤ ـ الاعتـــراف

٥ ـ الرؤيـــا

٦ ـ شرارة مهملة

٧ ـ الاكليـــل

٨ ـ خزانة الاشباح (مشكلة الزواج ونظرة الرجل للمرأة)

ج) قصص للمؤلف

١ ـ شجرة الدم

٢ ـ حلاوة الصبر

د) مقالات فى اللاهوت والفكر المعاصر :

١ ـ البشـــــارة

٢ ـ بالحقيقة نؤمن

٣ ـ الفـــداء العظيم

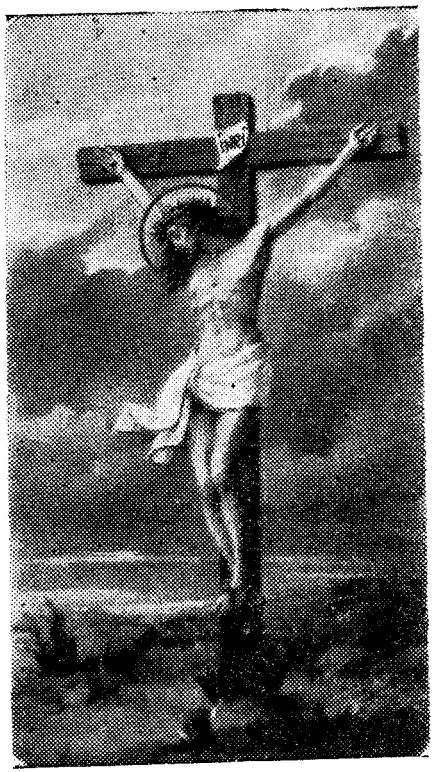

المقال التالى

الفـــداء العـــظيم

الجـــزء الثـــانى

فى الفـــكر اللاهوتى

رقم الإيداع ٨٣/٢٩٤٥

مطبعة مدارس الأحد ٧٠ ش روض الفرج ـ شبرا

الثمن ٧٠ قرشاً

رقم الإيداع ٨٣/٢٩٤٥

مطبعة مدارس الاحد ٧٠ ش روض الفرج ـ شبرا

الثمن ٧٠ قرشا